مجلة

المنار

المجلد الثالث

الجزء الحادي والثلاثون والثاني والثلاثون

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)
(مصر فى يوم الثلاثاء غرة شوال سنة ١٣١٨ — ٢١ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠١)

كتب المغازي واحاديث القصاصين (١)

لفضيلة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية

سألني سائل عن الرأي فى ما يوجد بايدى الناس من كتب الغزوات الاسلامية واخبار الفتوح الاولى وعما حشيت به تلك الكتب من اقوال واعمال تنسب الى النبي صلى الله عليه وسلم والى كبار اصحابه رضى الله عنهم وهل يصح الاعتماد على شيء منها ثم خص فى السؤال كتاب الشيخ الواقدى الموضوع فى فتوح الشام وذكر لى ان بعضاً من معربدة هذه الأيام المعتدين على مقام التصنيف قد جعلوا هذا الكتاب عمدة نقلهم ومثابة يرجعون اليها فى رواياتهم ليتخذوا منه حجة على ما يروجونه من تشويه سيرة المسلمين الاولين وليسلكوا منه سبيلاً الى اذاعة المثالب ونشر المعايب

(١) نشرت هذه المقالة في جريدة ثمرات الفنون الغراء منذ ١٥ سنة عند ما كان الاستاذ في بيروت . واعادت نشرها في العدد ١٣١٣ الصادر في ٩ من رمضاننا هذا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وان بعضاً آخر من ضعفة العقول من المسلمين ظنوا هذا الكتاب من انفس ماذخر الاولون للآخرين وانه جدير ان يحرز في خزائن الكتب السياسية وحقيق ان ينقل من اللغة العربية الى غيرها من اللغات فاجبت السائل بجواب احببت لو ينشر على ظن ان تكون فيه ذكرى لمن يتذكر

لم يرزأ الاسلام باعظم مما ابتدعه المنتسبون اليه . وما احدثه الغلاة من المفتريات عليه . فذلك مما جلب الفساد على عقول المسلمين . واساء ظنون غيرهم فيما بني عليه الدين . وقد فشت الكذب فاشية على الدين المحمدي في قرونه الاولى حتى عرف ذلك في عهد الصحابة رضي الله عنهم بل عهد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته حتى خطب في الناس قائلا : ايها الناس قد كثرت عليّ الكذابة ألاَ من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار او كما قال

الا ان عموم البلوى بالاكاذيب حق على الناس بلاؤه في دولة الامويين فكثر الناقلون وقل الصادقون وامتنع كثير من اجلة الصحابة عن الحديث الا لمن يثقون بحفظه خوفاً من التحريف فيما يؤخذ عنهم حتى سئل عبد الله ابن عباس رضي الله عنه لِمَ لا تحدث فقال لكثرة المحدثين . وروى عنه الامام مسلم في مقدمة صحيحة انه قال : ما رأيت اهل الخير في شيء اكذب منهم في الحديث . ثم اتسع شر الافتراء وتفاقم خطب الاختلاق وامتد بامتداد الزمان الى ان نهض ائمة الدين من المحدثين والعلماء العاملين ووضعوا للحديث اصولاً وشرطوا في صحة الرواية شروطاً وبينوا درجات الرواة واوصافهم ومن يوثق به ومن لا يوثق به منهم وصار ذلك فناً من اهم الفنون سموه فن الاسناد واتبعوه بفن آخر سموه فن مصطلح الحديث فامتاز بذلك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الصحيح من الفاسد وامتاز الحق من الباطل وعرفت الكتب الموثوق بها من غيرها وثبت علم ذلك عند كل ذى إلمام بالديانة الاسلامية

وقد روي عن الامام مالك رضى الله عنه انه كان قد كتب كتابه الموطأ حاوياً اربعة عشر الف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع حديث « قد كثرت علىّ الكذابة فطابقوا بين كلامى والقرآن فانّ وافقه والاّ فاطرحوه » عاد الى تحرير كتابه فلم يثبت له من الاربعة عشر الفاً اكثر من الف . ومن راجع مقدمة الامام مسلم علم ما لحقه من التعب والعناء فى تصنيف صحيحه واطلع على ما ادخله الدخلاء فى الدين وليس منه فى شىء

لم يخف على اهل النظر فى التاريخ ان الدين الاسلامى غشى ابصار العالم بلامع القوّة . وعلا رؤوس الامم بسلطان السطوة . وفاض فى الناس فيضان السيول المنحدرة . ولاحت لهم فيه رغبات . وتمثلت لهم منه مرهبات . وقامت لأُولى الالباب عليه آيات بينات . فكان الداخلون فى الدين على هذه الاقسام قوم اعتقدوا به اذعاناً لحجته واستضاءة بنوره واولئك الصادقون وقوم من ملل مختلفة انتحلوا لقبه واتسموا بسمته اما لرغبة فى مغانمه او لرهبة من سطوات اهله او لتعزز بالانتساب اليه فتدثروا بدثاره لكنهم لم يستشعروا بشعاره . لبسوا الاسلام على ظواهر احوالهم الا انه لم يمس أعشار قلوبهم فهم كانوا على اديانهم فى بواطنهم ويضارعون المسلمين فى ظواهرهم وقد قال الله فى قوم من اشباههم : قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمانُ فى قلوبكم

فمن هؤلاء من كان يبالغ فى الرياء حتى يظن الناس انه من الاتقياء فاذا احس من قوم ثقة بقوله اخذ يروى لهم احاديث دينه القديم مسنداً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لها الى النبي صلى الله عليه وسلم او بعض اصحابه ولهذا ترى جميع الاسرائيليات وما حوته شروح التوراة قد نقل الى الكتب الاسلامية على انه احاديث نبوية الا ان ائمة الدين عرفوا ذلك فنصوا على عدم صحتها ونهوا عن النظر فيها . ومنهم من تعمد وضع الاحاديث التي لو رسخت معانيها في العقول افسدت الاخلاق وحملت على التهاون بالاعمال الشرعية وفترت الهمم عن الانتصار للحق كالأحاديث الدالة على انقضاء عمر الاسلام (والعياذ بالله) او المطمعة في عفو الله مع الانحراف عن شرعه او الحاملة على التسليم للقدر بترك العمل فيما يصلح الدين والدنيا كل ذلك يضعه الواضعون قصداً لافساد المسلمين وتحويلهم عن اصول دينهم ليختل نظمهم ويضعف حولهم

ومن الكاذبين قوم ظنوا ان التزيد في الاخبار والاكثار من القول يرفع من شأن الدين فهذروا بما شاؤا يبتغون بذلك الأجر والثواب ولن ينالهم الا الوزر والعقاب وهم الذين قال فيهم ابن عباس : مارأيت اهل الخير في شيء اكذب منهم في الحديث ويريد باهل الخير اولئك الذين يطيلون سبالهم ويوسعون سربالهم ويطأطئون رؤوسهم ويختفتون من اصواتهم ويغدون ويروحون الى المساجد باشباحهم وهم ابعد الناس عنها بارواحهم يحركون بالذكر شفاههم ويلحقون بها في الحركة سبحهم ولكنهم ـ كما قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ـ : منقادون لحملة الحق لا بصيرة لهم في احنائه ينقدح الشك في قلوبهم لاول عارض من شبهه جعلوا الدين من اقفال البصيرة ومغاليق العقل فهم اغرار مرحومون يسيئون ويحسبون انهم يحسنون . فهؤلاء قد يخيل لهم الظلم عدلاً والغدر فضلاً فيرون ان نسبة ما يظنون الى اصحاب النبي مما يزيد في فضلهم ويعلي من النفوس منزلتهم فيصح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فيهم ما قيل «عدوّ عاقل خير من محب جاهل» ومن هؤلاء وُضّاع كتب المغازى والفتوح وما شاكلها

اما الشيخ الواقدى فكان من علماء الدولة العباسية ولاه المأمون القضاء فى عسكر المهدى وكان تولى القضاء فى شرقي بغداد . قال ابن خلكان : وضعفوه فى الحديث وتكلموا فيه . اهـ . اى عدوه ضعيف الرواية ليس من اهل الثقة ولهذا نص الامام الرملى من علماء الشافعية على انه لا يؤخذ برواياته فى المغازي فان كان هذا الكتاب المطبوع الموجود فى ايدى الناس من تصنيفه فهذه منزلته من الضعف عند علماء المسلمين على انى لو حكمت بانه مكذوب عليه مخترع النسبة اليه لم اكن مخطئاً

وذلك لأن الواقدى كان من اهل المائة الثانية بعد الهجرة وكان من العلم بحيث يعرفه مثل المأمون ابن هارون الرشيد ويواصله ويكاتبه وصاحب هذه المنزلة فى تلك القرون اذا نطق فى العربية فانما ينطق بلغتها وقد كانت اللغة لتلك الاجيال على المعهود فيها من متانة التأليف وجزالة اللفظ وبداوة التعبير والناظر فى كتاب الواقدى ينكشف له بأول النظر ان عبارته من صناعات المتأخرين فى اساليبها وما ينقل فيها من كلام الصحابة مثل خالد بن الوليد وابى عبيدة وغيرهم رضى الله عنهم لا ينطبق على مذاهبهم فى النطق بل كلما دقق المطالع فى احناء قوله يجد اسلوبه من اساليب القصاصين فى الديار المصرية من ابناء المائة الثامنة والتاسعة ولا يرى عليه لهجة المدنيين ولا العراقيين والرجل كان مدنىّ المنبت عراقىّ المقام ولولا خوف التطويل لأتيت بكثير من عباراته وبينت وجه المخالفة بينها وبين مناهج ابناء القرون الأولى فى التعبير على ان ذلك لا يحتاج الى البيان عند

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العارفين باطوار اللغة العربية

فهذا الكتاب لاتصح الثقة به اما لانه مكذوب النسبة على الواقدى وهو الأظهر واما لضعف الواقدى نفسه فى رواية المغازى كما صرّح به العلماء فلا تقوم به حجة للمتحذلقين ولا يصلح ذخراً للسياسيين ومثل هذا الكتاب كتب كثيرة كقصص الانبياء المنسوب لابى منصور الثعالبى وكثير من الكتب المتعلقة باحوال الآخرة او بدء العالم او بعض حقائق المخلوقات المنسوبة الى الشيخ السيوطى وقصص روايات تنسب الى كعب الاحبار اوالاصمعى ومن شاكلهما ممن عرفوا بالرواية فاولع الناس بالنسبة اليهم من غير تفريق بين صحيح وباطل فجميع ذلك مما لا اعتداد به عند العلماء ولا ثقة بما يندرج فيه والعمدة فى النقل التاريخى كتب الحديث كصحيح البخارى ومسلم وغيرهما من الصحاح ويتلوها كتب المحققين من المؤرخين كابن الأسير والمسعودى وابن خلدون وابى الفداء وامثالهم وعلى اي حال فلا يستغنى مطالع التاريخ عن قوة حاكمة يميز بها بين ما ينطبق على الواقع وما ينبو عنه . هذا ما اردنا اليوم اجماله فان دعا الى التفصيل داع عدنا اليه والله الموفق للصواب

م . ع

﴿ تنبيه ﴾

ضاق هذا الجزء عن نشر المحاورة الرابعة من المحاورات بين المصلح والمقلد لأننا لم نر بُدًّا من نشر مقالة الاستاذ لفائدتها وموعدنا بها الجزء الآتى ان شاء الله تعالى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم الادبي

﴿ أأحسن الشعر أكذبه ام اصدقه ﴾

« نموذج آخر من اسرار البلاغة »

قال عبد القاهر بعد كلام : وعلى هذا موضوع الشعر والخطابة أن يجعلوا اجتماع الشيئين فى وصف علة الحكم يريدونه وان لم يكن فى المعقول ومقتضيات العقول ولا يؤخذ الشاعر بأن يصحح كون ما جعله أصلاً وعلة كما ادعاه فيما يبرم او ينقض من قضية وان يأتى على ما صيره قاعدة واساساً بينة عقلية بل تسليم مقدمته التى اعتمدها بينة كتسليمنا أن عائب الشيب لم ينكر منه الا لونه وتناسينا سائر المعانى التى لها كره ومن اجلها عيب . وكذلك قول البحتري :

كلفتمونا حدود منطقكم ... فى الشعر يكفى عن صدقه كذبه

اراد كلفتمونا ان نجري مقاييس الشعر على حدود المنطق ، ونأخذ نفوسنا فيه بالقول المحقق ، حتى لا ندعى الا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ، ويلجئ الى موجبه ، ولا شك انه الى هذا النحو قصد ، واياه عمد ، إذ يبعد ان يريد بالكذب اعطاء الممدوح حظاً من الفضل والسؤدد ليس له ، ويبلغه بالصفة حظاً من التعظيم يجاوز به من الاكثار محله ، لان هذا الكذب لا يبين بالحجج المنطقية ، والقوانين العقلية ، وانما يكذب فيه القائل بالرجوع الى حال المذكور واختباره فيما وصف به ، والكشف عن قدره وخسته ، ورفعته او ضعته ، ومعرفة محله ومرتبته ، . وكذلك قول

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من قال : « خير الشعر اكذبه » فهذا مراده لان الشعر لا يكتسب من حيث هو شعر فضلاً ونقصاً وانحطاطاً وارتفاعاً بل يَحْصُلُ الوضيع من الرفعة ما هو منه عار ، او يصف الشريف بنقص وعار ، فكم جواد بخله الشعر وبخيل سخاه وشجاع وسمه بالجبن وجبان ساوى به الليث وذى ضعة اوطأه قمة العيوق[1] وغبي قضى له بالفهم ، وطائش ادعى له طبيعة الحكيم ، ثم يعتبر ذلك في الشعر نفسه حيث تُنْتَقَدُ دنانيره وتنشر دياجيه ، ويفتق مسكه فيضوع أريجه ،

واما من قال فى معارضة هذا القول « خير الشعر اصدقه » كما قال :

وان أحسن بيت انت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا

فقد يجوز ان يراد به ان خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل ، وأدب يجب به الفضل ، وموعظة تروّض جماح الهوى ، وتبعث على التقوى ، وتبين موضع القبيح والحسن فى الافعال ، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال ، وقد ينحى بها نحو الصدق فى مدح الرجال ، كما قيل : كان زهير لا يمدح الرجل الا بما فيه . والاول أولى لانهما قولان يتعارضان فى اختيار نوعي الشعر .

فمن قال خيره اصدقه كان تركُ الاغراق والمبالغة والتجوز الى التحقيق والتصحيح ، واعتماد ما يجرى من العقل على اصل صحيح ، أحبَّ اليه ، وآثر عنده ، اذا كان ثمره احلى ، واثره أبقى ، وفائدته اظهر ، وحاصله اكثر ، . ومن قال اكذبه ذهب الى ان الصنعة انما يُعَدُّ باعيها ، وينشر

(١) العيوق نجم احمر مضيء فى طرف المجرة الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها وقمة الشيء اعلاه

شبكة الألوكة www.alukah.net

شعاعها ، ويتسع ميدانها ، وتتفرع افنانها ، حيث يعتمد الاتساع والتخييل ، ويدّعى الحقيقة فيما اصله التقريب والتمثيل ، وحيث يقصد التلطّف والتأويل ، ويذهب بالقول مذهب المبالغة والاغراق فى المدح والذم والوصف والبث والفخر والمباهاة وسائر المقاصد والاغراض وهناك يجد الشاعر سبيلاً الى ان يبدع ويزيد ، ويبدى فى اختراع الصور ويعيد ، ويصادف مضطرباً كيف شاء واسعاً ، ومدداً من المعانى متتابعاً ، ويكون كالمغترف من غدير لا ينقطع ، والمستخرج من معدن لا ينتهى ،

واما القبيل الاول فهو فيه كالمقصور المدانى قيده ، والذي لا تتسع كيف شاء يده وأيده ، ثم هو فى الاكثر يورد على السامعين معانى معروفة وصوراً مشهورة ، ويتصرف فى اصول هى وان كانت شريفة فانها كالجواهر تُحفظ اعدادها ، ولا يُرجى ازديادها ، وكالأعيان الجامدة التى لا تنمى ولا تزيد ، ولا ترجح ولا تفيد ، وكالحسناء العقيم ، والشجرة الرائعة لا تمتّع بجنى كريم ،

هذا ونحوه يمكن ان يتعلق به فى نصرة التخييل وتفضيله ، والعقل يعد على تفضيل القبيل الاول وتقديمه ، وتفخيم قدره وتعظيمه ، وما كان العقل ناصره ، والتحقيق شاهده ، فهو العزيز جانبه ، المنيع مناكبه ، وقد قيل : الباطل مخصوم وإن قضى له ، والحق مفلِجٌ وإن قضى عليه [1] هذا ومن سلم أن المعاني المعرقة فى الصدق ، المستخرجة من معدن الحق ، فى حكم الجامد الذى لا ينمى ، والمحصور الذى لا يزيد ، ؟ وان اردت ان

(١) المفلج (اسم فاعل) الفائز الظافر يقال فلج (كنصر وضرب) وافلج لازم ويتعدى بعلى فيقال فلج وافلج على خصمه أي استظهر وانتصر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعرف بطلان هذه الدعوى فانظر الى قول ابى فراس :

وكنا كالسهام اذا أصابت مراميها فراميها أصابا

ألست تراه عقلياً عريقاً فى نسبه ، معترفاً بقوة سببه ، وهو على ذلك من فوائد ابى فِرَاسٍ التى هو أبو عذرها ، والسابق الى اثارة سرها ،[1]

واعلم ان الاستعارة لا تدخل فى قبيل التخييل لان المستعير لا يقصد الى اثبات معنى اللفظة المستعارة وانما يعمد الى اثبات شبه هناك فلا يكون مخبره على خلاف خبره . وكيف يعرض الشك فى ان لا مدخل للاستعارة فى هذا الفن وهى كثيرة فى التنزيل على ما لا يخفى كقوله عز وجل : « واشتعل الرأس شيباً » ثم لا شبهة في ان ليس المعنى على اثبات الاشتعال ظاهراً وانما المراد اثبات شبهه . وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « المؤمن مرآة المؤمن » ليس على اثبات المرآة من حيث الجسم الصقيل ، لكن من حيث الشبه المعقول ، وهو كونها سبباً للعلم بما لولاها لم يعلم لان ذلك العلم طريقه الرؤية ولا سبيل الى ان يرى الانسان وجهه الا بالمرآة وما جرى مجراها من الاجسام الصقيلة فقد جمع بين المؤمن والمرآة فى صفة معقولة وهى ان المؤمن ينصح اخاه ويريه الحسن من القبيح كما تُرِي المرآة الناظر فيها ما يكون بوجهه من الحسن وخلافه . وكذا قوله صلى الله عليه وسلم : « اياكم وخضراء الدِّمَنِ » معلوم ان ليس القصد اثبات معنى ظاهر اللفظين ولكن الشبه الحاصل من مجموعهما وذلك حسن

---

(١) يقال (هو ابو عذر هذا الكلام) اى هو اول من اقتضبه واخترعه . ويقال (ما انت بذي عذر هذا الكلام) اى لست بأول من اقتضبه . والعذر هنا بالضم مخفف من العذرة وهى البكارة بحذف التاء لجريه مثلا

إصدار من شبكة الألوكة www.alukah.net

الظاهر مع خبث الاصل

واذا كان هـذا كذلك بان منه ايضاً ان لك مع لزوم الصدق والثبوت على محض الحق الميدان الفسيح والمجال الواسع وأن ليس الامر على ما ظنه ناصر الاغراق والتخييل الخارج على ان يكون الخبر على خلاف المخبَر من انه انما يتسع المقال ويفتن وتكثر موارد الصنعة ويغزر ينبوعها ، وتكثر اغصانها وتتشعب فروعها ، اذا بسط من عنان الدعوى فادعى ما لا يصح دعواه ، واثبت ما ينفيه العقل ويأباه ،

وجملة الحديث الذى اريده بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر فيه امرا هو غير ثابت اصلاً ويدعى دعوى لا طريق الى تحصيلها ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى . اما الاستعارة فان سبيلها سبيل الكلام المحذوف فى انك اذا رجعت الى أصله وجدت قائله وهو يثبت امراً عقلياً صحيحاً ويدعى دعوى لها شبيح فى العقل . وستمر بك ضروب من التخييل هى اظهر أمراً فى البعد عن الحقيقة تكشف وجهاً فى انه خداع للعقل وضرب من التزويق فتزداد استبانة الغرض بهذا الفصل وازيدك حينئذ ان شاء الله كلاماً فى الفرق بين ما يدخل فى حيز قولهم : خير الشعر اكذبه . وبين ما لا يدخل فيه مما يشاركه فى اتساع وتجوز فاعرفه . وكيف دار الامر فانهم لم يقولوا : خير الشعر اكذبه وهم يريدون كلاماً غفلاً ساذجاً يكذب فيه صاحبه ويفرط نحو ان يصف الحارس بأوصاف الخليفة ويقول للبائس المسكين ، : انك امير العراقين ، ولكن ما فيه صنعة يتعمل لها وتدقيق فى المعانى يحتاج معه الى فطنة للصواب . وأعود الى ما كنت فيه من الفصل بين المعنى الحقيقى وغير الحقيقى اه النموذج المراد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باب التربية والتعليم

﴿ الباب الثانى (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

« بقية المكتوب (٢٥) من هيلانه الى اراسم »

من السهل كثيراً على الاطفال ان يدركوا معنى الملك فى حق انفسهم ولكن من الصعب جداً اقناعهم بان للغير ملكاً يجب احترامه .

يشهد لذاك ما سأقصه عليك وهو ان مما يزرع فى انكلترا الراوند وهو نبات بهي المنظر شديد النمو يعرف فى مزارعه بعرض اوراقه وعلو سوقه يدخله اهل هذه البلاد لندرة الفواكه عندهم فى عمل اقراص ومربيات يغالون بها كثيراً سواء أخطأوا فى هذه المغالاة او اصابوا فترى اطفال القرى بسبب بقاء اذواقهم على حالها الفطرية كلفون باكل هذا النبات حتى انهم لا يحتاجون فى تعاطيه الى تسويته بالنار ولا الى ادخاله فى الاقراص بل انهم يأكلون سوقه الغضة فجة ويجدون لها طعماً مزاً . من اجل هذا حصل ان تلامذتى (لانى اعتبرهم كذلك) بينما كانوا يتنزهون وحدهم فى ضواحي بنزانس لمحوا حقلاً من حقوله فحركهم اليه كما حرك حمار الاسطورة[1] دعوة الفرصة لهم الى اغتنامها وغضوضة النبات وطراءته

(١) تشير الى حكاية الحمار والكلب وها كها منظومة من كتاب العيون اليواقظ

عطارنا واسمه فلان ... قد خانه الدهر والزمان
سافر من داره بجحش ... واسم ذا الجحش مرزبان
واتخذ الكلب حين ولى ... والكلب هذا اسمه امان
فحصلوا غابة فحطوا ... مراحة زانها المكان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعض نزغات الشيطان فلم يكن الا أن تخطّوا ما يحيط بالحقل من الحواجز الواهية ثم انقضوا بقوتهم على بعض اشجار منه رأوها اطرى من غيرها فاكلوا منها كفايتهم ولكن لم يلبث وجدانهم بعد هذا ان اخذ يناجيهم فيما ارتكبوا فقال « اميل » وقد بدا خجله أتحسبان اننا قد احسنا فيما فعلنا فاضطر رفيقاه الى الاعتراف بانهم جميعاً قد اساؤا .

ثم استأنفوا الكلام فقال وليم قول القدريّ الرزين لقد كان ما كان فلم يبق فى قدرتنا إصلاحه فأجابته بلى وهى لكونها اكبر منهما سناً اعرف بطرق المعاملات منهما : « بلى ان لنا سبيلاً للخروج عن تبعة هذا الخطأ لانه يصح لنا فى كل حال ان ندفع ثمن ما اتلفنا » فكان لما قالته لرفيقيها لمعة ابتهاج اشرق بها ضميرهما لانهما عوّلا على اصلاح التلف وبذلك يؤوبون الى بيتهم هادئى البال .

ونام مولى الجميع لما ... رأى مروجاً بها الامان
اما الحمار اعتراه جوع ... وحوله الند واللبان
فصار يرعى وما توانى ... وآن من حظه الأوان
قال له الكلب يا حبيبي ... الخبز في الخرج والدهان
ارقد على الجنب منك حتى ... آكل فالجوع لى هوان
فاطرح القول ثم ولى ... ولم يطاوعه مرزبان
ولم يدم ان اتاه ذيب ... له للطمع الدما لسان
فقال للكلب قم اليه ... فانني معك لا اهان
قال له الكلب كيف هذا ... لا فاتك الضرب والطعان
احرمتنى الاكل فى نهارى ... والجوع لا شك ترجمان
ذق غصة الموت وامض عنى ... فالموت اولى به الجبان
واغتاله الذئب وهو يجرى ... ولم يدافع ولا امان
وهكذا فى الاصول قالوا ... كما يدين الفتى يدان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكنهم لم يلبثوا ان وقفوا فى حيرة عظيمة لانه لم يكن مع وليم وبلّى من النقود فلس واحد . واما « اميل » فانه كان غنياً بوجود بنى (عشر سنتيمات) فى جيب صُدرته ولم يتردد فى اخراجه ليدفعه ثمناً لما اكلوه ولما لم يروا فى الحقل احداً يقوم مقام مالكه فى قبض الثمن ادّتهم سذاجتهم الى ان وضعوا قطعة النقد على ورقة عريضة من اوراق الراوند وانصرفوا .

علمت بتفصيل هذه الواقعة من بدايتها الى نهايتها من الجناة انفسهم لانى لما كنت لا اعاجلهم بالعقاب على ما يقترفونه كانوا يحسبونى كأحد معلمى الاعتراف فيقرون لى بما يقترفونه من الذنوب طيبة به انفسهم ولما خفت ان يكون ما تركه الاطفال من الثمن غير كاف فى تعويض ما اتلفوه تراضيت مع المالك على قيمته ودفعتها له على انها لم تكن كثيرة . وبذلك حسمت هذه المسئلة بنفقات قليلة وانى كنت ابذل كل ما يطلب منى فى مقابلة ما اشرق فى بصائر أولئك النهابين الصغار من بريق العدل فى الوقت المناسب له ولو كان « اميل » هو الذى صدرت منه فكرة رد قيمة ما سلب لكان سرورى بذلك اعظم كمالا اخفى عنك وفرحى به اكبر ولكنه له فضل بذل ما كان معه على قلته . كيف يكون تفهيم الاطفال ان كل ما ينبت على وجه الارض ليس مباحاً لجميع الناس ؟

ارى ان من احسن مدارس الاخلاق للصغار الذين هم فى سن « اميل » المدرسة الحلوية فانه قد تعلم فيها من نظره الى ما ينهمك فيه اهل القرى من الاشغال الشاقة اكثر مما يتعلمه بجميع البراهين الممكنة لانه يرى فى كل يوم ان القمح لا ينبت الا اذا بذرت الناس حبوبه وان اجود ارض لا تصلح للزراعة الا اذا قلبت وحرثت .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم ان الحيوانات ايضاً تعلمه اختصاص كل منها بما يملك . أذكر من ذلك مثلاً فأقول : انه يوجد في ضواحي بنزانس على شاطىء جدول يجرى بعض اميال ثم ينصب في البحر لفيف من الاشجار يحوم على واحدة منها في غالب الاوقات طائر يقل وجوده في هذه الناحية وهو المسمى عند الانجليز بملك جوارح الطير وعند الفرنساويين بالخطاف الصياد (لعله الذى يسمى بالعربية الزُّمَّج) . استلفت هذا الطائر الجميل انظار اولادنا في اول الامر ببهاء لونه ولكني نبهتهم الى ان شهرته بالمهارة في كسب قوته ليست باقل من شهرته بجمال سرباله ذلك لان هذا المسكين يكد في كسبه وينصب فانه يجثم ساعات كاملة في مكانه اى وراء غصن من الاغصان يحجبه عن الاعين ولا يعترض بصره حيث يراقب كما تعلم بعينيه اليقظاوين اللتين لا يقوتهما فائت مرور السمك في الماء فاذا سنحت له واحدة منها انقض عليها انقضاض السهم واصطادها ثم ارتفع بها معلقة في منقاره القوي الى محله وبعد ان يمزقها كل ممزَّق ويلتقمها يعود الى ما كان فيه من الترقب الشاق لعلمه ان الحظوظ نادرة وان شهوة الطعام حاكمة عليه وقد شهد الاطفال ذات يوم قتالاً عجيباً وقع بينه وبين جارح آخر اراد ان يختلس ثمرة صيده فلم يلبث « اميل » ان فهم ان هذا الطائر الثاني هو السارق لانه اراد ان يسلب خصمه ما كسبه بجده وسعيه

من العواطف التي اريد ايضاً ان اغرسها في نفس ولدنا احترام ما يصيب الناس من العاهات وقد رأيت ان القاء الموعظ عليه في ذلك مما يضيع به الزمن عبثاً ولاحظت ايضاً ان كثيراً من الآباء والامهات يخطئون بتمثيلهم عيوب الخلقة وضروب التشوه الفطري لاولادهم في صورة عقوبات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الهية ومن الامثال على ذلك ان فتاة تسكن النزل الذى انا فيه شبّت على هذه الاوهام الشنيعة فكانت تعتقد اعتقاداً راسخاً فى عجوز من جيراننا شوهاء قوسماء ان الشيطان يسكن حدبتها . فالذى اريد اقناع « اميل » به هو عكس ذلك بالمرة فانى اريد ان افهمه من غير افراط فى تنبيه عاطفة الشفقة فيه ان من سلبهم الله من عباده محاسن الخلقة قد عوضهم منها مواهب لم تقسم لغيرهم وقد علمت بانه يوجد على مقربة من قرية مرازيون غلام اكمه يعيش من ثمرة كد والديه الذين هما من صلحاء الفلاحين فرأيت فيه فرصة حسنة لتجربة الفكر الذى تصورته وطلبت من تلامذتى الثلاثة ان يقبلوه رفيقاً لهم فرضوا بذلك لانه متى كان المقصود للاطفال التسلى والانشراح لا يعتبر عددهم كثيراً بالغاً مابلغ وقد يكون لرضائهم بصحبته سبب آخر وهو ان الانسان لا يكره مطلقاً ان يكون له رفيق يظهر علو درجته عليه لعلة فيه ككونه محروماً من بصر يضىء له سبيله وان كان ذلك الرفيق فى الحقيقة اشد منه قوة واكبر سناً فاننا كثيراً ما نشوب حنوّنا بشىء من الكبر والصلف والاطفال مثلنا فى ذلك وان لم يكونوا عالمين به . على انه لا حاجة بى الى استقصاء اسباب اعمالهم .

يتسلى عرمة الاطفال هنا فى فصل الربيع باصطياد طائر من الطيور الخاصة بكرنواي وهو الغراب الاعصم[1] ولكون هذا الطائر نفوراً فى حالته الفطرية تراه لا يسكن غالباً الا الاماكن المهجورة ولعلمه بشدة رغبة الناس فيه لندرته يدعوه ادراكه الى ان يتخذ وكنه فى وسط مالا يكاد

(١) الغراب الاعصم هو الاحمر الرجلين والمنقار وقيل الذى فى جناحه ريشة بيضاء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينال من الصخور [1] ولكن الصغار البحاثين المنقبين لا يفلت شيء من ايديهم فبعضهم مدفوع فى بحثه بما فيه من حب الاستطلاع وبعضهم يحركه الى ذلك طمعه فى الربح لان هذا الغراب غالي القيمة ثم ان اكثر وجوده فى ضواحي بنزانس بالشعاف الوعرة المنتشرة حول خليج الجبل حيث يعتصم فى صخور الصوان المتصدعة المنقلبة بسبب ما انتابها فى غابر الازمان من الرجفات والزلازل ويوجد بالقرب من هذا المكان المنعزل الوعر قرية للصيادين تدعى (موس هول) ومعناه جحر الفأر وانما سميت كذلك لتعلقها على الساحل كانها جحر فأر فى حائط

انا لا استحسن بحال صيد هذا الطائر لاسباب مختلفة ولكنني ربما توهمت ان فى التعجيل باظهار مذهبي فى ذلك لتلامذتى خروجاً عن مقتضى السياسة والحزم لأنهم يرون لهم أُسىً فى اطفال القرية تحركهم الى هذا الفعل ومن اجل ذلك لم امنعهم من الذهاب للصيد فانطلقوا فى بكرة ذات يوم يصحبهم الاكه ويتبعهم قوبيدون من بعد على غير مرأًى منهم لانه يخاف عليهم ان يحل بهم خطر فى تسلقهم الصخور وكان وِلْيَم وبلّى يتناوبان العناية بشأن الاكه المسكين ويقودانه فانقضى نهارهم على ما يرام ولم يكن تنزههم على القنن الصوانية الا سبباً لازدياد شعورهم بعلو درجتهم على الاكه لانه كثيراً ما كانت تزل قدمه فى اقل العقبات وقد انستهم كثرة

---

(١) الوكن بالفتح عش الطائر فى جبل او جدار او مقره فى غير عش ج اوكن ووكن بالضم ويسمى الوكن وكنة بالتثليث وبضمتين ج كغرف وغرفات ووكنات بفتح الكاف وسكونها . ويقال اكنة وموكن . ووكن الطائر (كضرب) دخل الوكن والبيض حضنه فهو واكن ووكون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اشتغالهم انقضاء الزمن بحيث انهم لم يفرغوا من تناول طعامهم الشظف الذي تناولوه معاً حتى رأوا الشمس على وشك الغروب فدهمهم الليل وهم لا يزالون على مسافة بعيدة من البيت وكان اصعب ما عليهم فى ذلك الوقت تمييز طريقهم الذي صعدوا الجبل منه فلما رآهم قوبيدون فى هذه الحيرة اشتدت رغبته فى ان يظهر لهم ويسكن روعهم ولم يمنعه من ذلك الا اخلاصه فى اتباع ما ارشدته اليه فانتظر حتى يرى كيف يتخلص هؤلاء التائهون من ورطتهم

تدري أنه لما جن عليهم الليل انعكس الأمر فيهم كل الانعكاس فاعمى الاكمه بصيراً لأنه بما حفظت ذاكرته ودقة لمسه (التى هى من خواص العمى) من مواقع الطريق قد ميز الشعاب التى مرّ بها فى الصباح كل التميز فبات قائداً بعد ان كان مقودا فلما رآه الاطفال على هذه الحالة يسترشد فى الطريق باطراف اصابعه كان له فيها أعيناً كادوا يعتبرونه فى ذلك الوقت ارقى منهم فهم فى ذلك كالمتوحش يسهل انتقالهم من شعور متجاوز حده الى شعور آخر ليس أقل منه خروجاً عن الحد . الا يدلنا هذا على ان عبادة بعض الشعوب القديمة لذوى العاهات من الناس مبنية على مثل هذا السبب .

على ان ميل « أميل » ورفيقيه الى الاتيان بمثل ما اتى به ذلك الاكمه قد بعث فيهم روح الاستطلاع فالموهبة التى اوتيها الاعمى قد يصح لغيره من البصراء ان يكتسبها بالتمرن لانك ترى الأطفال قد دلهم حدسهم الفطريّ على بعض طرق من شأنها انها تنمي فيهم قوة السمع ودقة اللمس اكثر من غيرها فمن ذا الذى اخترع اللعبة المسماة

www.alukah.net إلوكة موقع وشبكة الألوكة

بالمَسّة[١] لا اخال الا ان مخترعها هو حاوى[٢] او غيره من اعضاء المجتمع العلمي (اكديميا) فان هذه اللعبة التي يسميها الانكليز هنا جلدة الاعمى ليست الا تماميا تتعرف به الطرق التي للأعمى في معرفة ما حوله . انشأ «اميل» ورفيقاه يمارسون فيما بينهم كثيراً من الالعاب وطرق التدرب التي تقتضي الالتفات واعينهم مغطاة ومع كون الفضل كله للابصار بالعينين كانت اثرتهم التي هيجها فيهم ما رأوه من فعل الاكمه توحي اليهم بان النظر الدقيق هو النظر باللمس وانى لفي شك من انهم ينالون من هذه الجهة بكسبهم ما للأعمى من النظر الطبيعي ولو قضوا في مزاولة ذلك طول حياتهم غير انه من فائدتهم ان يتعلموا في اللعب ما بين المشاعر من التعاون وقيام احدها محل الاخرى وانى لا أنسى ما كنت تقوله لي كثيراً من انه لا يعرف طرق السمع والبصر حق المعرفة الا من تعاوره الخرس والعمى .

يجب عليّ الآن ان اعود الى ما كنت بصدده من حكاية اصطياد الغراب الاعصم فاقول : لم يعثر الاطفال على وكن واحد في الصخور وذلك لان «اميل» ووليم لا يزالان من الضعف بحيث انهما لا يستطيعان الوصول الى الشعاف الوعرة التي يلجأ اليها ذلك الطائر واما بِلّى فلكونها بنت رجل

---

(١) المسة لعبة للأعراب يقال لها الضبطة فاذا وقعت يد اللاعب من الرجل على بدنه او رأسه او كتفه فهي المسة واذا وقعت على رجله فهي الأسن — كذا في معاجم اللغة ويظهر ان هذه اللعبة طبيعية توجد عند جميع الامم ولها كيفيات واسماء كثيرة

(٢) حاوى واسمه والنتين هو عالم فرنساوى ولد في سنة ١٧٤٥ ب . م . ومات في سنة ١٨٢٢ ب . م . استبدل بالحروف الخطية الحروف المجسمة لتعليم احداث العميان القرآءة والكتابة وأسس مدرستهم المشهورة في باريس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يدين بمذهب المرتجفين[1] ترى ان استلاب افراخ الطير من امها من فعل الشر . هذا المذهب الديني كما لا يخفى عليك يورث اصحابه ميلاً عظيما للاحسان الى الحيوانات ولكون قوبيدون اقل تحرجاً منها فى هذا الأمر واحرص دائماً على فعل ما يرضى « اميل » كان امهر منهم او أسعد حظاً فى بحثه لانه بتلك الخفة فى التسلق التى تمثل انسان الآجام فى شخصه كان قد اصطاد من بين القنن العوانية والادغال زوجا من هذا الطائر صغيراً نبت ريشه لكن اجنحته لما تطل ليستطيع الطيران فلما رأى الأطفال الزنجي دهشوا دهشة عظيمة لانهم ما كان يخطر لهم على بال انه بهذا القرب منهم يتدخل فى كل مكان وهو كالليل فى السكون فابتهجوا برؤيته وزادتهم فرحاً رؤية الفرخين اللذين كانا شبيهين بكرتين من الزغب ركب فيهما منقاران احمران حتى ان بلّى نفسها ابدت من البِشر والارتياح فى هذه الساعة ما دل على انها نسيت اصول مذهبها القويم .

ولما كنت اعلم ما يعامل به الأطفال الطيور عادة اذا وقعت فى ايديهم بقيت وحدي غير مشاركة لهم فى هذا الابتهاج العام الذي ولّده اصطياد هذين الفرخين ولكن ماذا كان فى وسعي ان افعله أو اقوله فلو انى قلت لهم خلوا سبيل اسيريكم لاطلقوهما ولكن مع الكراهة والأسف من اجل هذا رأيت ان الامثل بى الرجوع الى طريقة اخرى وهى انى وضعت

(١) المرتجفون لقب لجماعة الاخوان فى انكلترا وهم طائفة من رجال الدين أنشأها جورج فوكس المولود فى سنة ١٦٢٤ ب . م . وأول من لقبهم به هو جورج بنيت فى دربي (من اعمال انكلترا) لان جورج فوكس المذكور خاطبه وخاطب من حضروا معه بقوله ارتجفوا اذا سمعتم كلام الله هكذا جاء فى جريدة جورج فوكس نفسه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفرخين فى حجرة سفلى من حجرات البيت كنا نضع فيها ادوات البستان فاتخذتها بيتاً للطيور ثم اخذت ابين « لاميل » انه يجب عليه ان يتولى بنفسه تغذيتهما لانهما اصبحا محرومين من امهما التى كانت تعولهما وبالغت له عن قصد فيما يستلزمه ضعفهما الشديد من ضروب العناية ليقوم ذلك مقام ما كان يكنفهما من رعاية وليها الطبيعى فكان من ذلك ان حبس نفسه جزءا من النهار فى بيت الطيور ولم يلبث بهذه الطريقة ان عرف انه قد اصبح أسيراً لاسيريه وصارت كراهته لهذه الوظيفة امراً محتماً والذى استفاده فيها من العبرة هو انه لا يتأتى للانسان حرمان غيره من حريته الا بفقد جزء من حرية نفسه ولذلك لم تمض بضعة ايام حتى جاءنى راجياً اطلاق الفرخين ليمضيا فى سبيلهما .

لما رأيتنى قد نجحت فى سوق العبرة « لاميل » فى الاكمه صممت على الاستمرار فى تجاربى فعلمت ان فى ضواحي قريتنا راعياً صغيراً مشهورا بالبله يسخر منه جميع عرمة الاطفال في القرية ويهزؤن بسذاجته وكنت ارتعد خشية ان يفعل « اميل » فعلهم لان القدوة شديدة العدوى والضحك مما ينبغى الرثاء له واحترامه هو من ضروب القسوة التى فى الاطفال ولكن قد اعانني والله الحمد على ما كنت بسبيله ما اعملته من الفكر وما سنح لى من الفرصة . ذلك انى قابلت هذا الراعي الصغير ذات يوم فى الحقول فتبينت فيه انه يميز كل شاة من شياهه على حين ان قطيعه كله لم يكن فى نظري وفى نظر « اميل » الا شاة واحدة مكررة مائة مرة فتلك إذن مزية له علينا عاهدت نفسي عهدا اكيداً على الانتفاع بها فى سياستى «لاميل» فعرضت عليه فى اليوم التالى لتلك المقابلة ان يصحبنى الى الكثبان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حيث علمت بوجود ذلك الراعي هناك فلما رآه قال وَيْكَأَنِّي به المجنون وهو الاسم الذي يطلق هنا على السخفاء والبُلْه فتظاهرت له بعدم الالتفات الى ماقال ووجهت نظره الى خصيصته في تمييز شياهه بعضها من بعض بمجرد نظره اليها على ضعف عقله مع تشابهها علينا كثيراً فكان ذلك باعثاً لدهشته وموضوع محادثة مع ذلك الابله تبين لنا منها انه على علم تام باسنان شياهه وطباعها بل بأقلّ الشيات الظاهرة فيها فتسنى بذلك « لاميل » ان يقتنع في نفسه بأن هذا الجاهل المسكين اعلم منا في بعض الامور الخاصة به ولكي استفيد من هذا الاقتناع طلبت من الابله قبول ولدي في مدرسته بضعة ايام يعلمه فيها ما اوتيه من العلم فقبل ذلك طيبة به نفسه منتظراً من ورائه مكافأته بل ربما كان ايضاً معللا نفسه بحسن ظن الناس بصلاحيته لبعض الأُمور وكان هذا بحسب ماظهر لي من حاله اول اكرام ناله في حياته

واما « اميل » فانه كان على ما يظهر لي اقل ارتياحاً منه بكثير لهذا الامر لانه بسبب حبه لنفسه وعجبه كان يتألم من ان يكون تلميذاً لشخص يعتبره هو ورفقاؤه احمق ويرى ان في ذلك غضاً من كرامته ولكني لم اجد وسيلة اخرى للوصول الى مقصدي على انه لا شيء عليه في ذلك فلشدّ ماسيفتخر على افرانه بابداء ما علمه لهم وان قل ويظهر لهم من الشمم به مثل ما كان للاحمق عليه وقد استفدت من هذا التعليم فائدتين فيه اولاهما ان ملكة تمييز ادق الفروق التي بين افراد القبيل الواحد لاتقتصر على استعمالها في الغنم بل انها متى حصلت يصح ان تتعدى الى جميع ما تكلم عنه علم التاريخ الطبيعي من صنوف الموجودات والفائدة الثانية واراها انفس من الاولى هي ان يعلم بانا على الدوام محتاجون الى التعلم حتى من اضعف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناس عقلاً .

يتوهم « اميل » انه لا يكون رجلاً الا اذا لعب كما يلعب الجندي ولذلك تراني ابيح له شيئاً من هذا اللعب موافاة لميله ومراعاة لسنه . ولكني منذ بضعة ايام رأيت منه في اثناء هذا اللعب ما راعني واطار لبي اذ رأيت فتيان القرية منقسمين الى فئتين وهو في وسطهم يحمل لهم اللواء .

نعم انهم كانوا يقتتلون بسيوف من الخشب ولكن لو انها من الصلب وكانت هذه الايدي الصغيرة العاملة بها ذات اعصاب قوية لتمثل امامي قطعاً مشهد من مشاهد تلك المذابح الفظيعة التي تصبغ اديم الارض بالدماء ويسميها الناس حروباً فقمت انا بما كان يعمله قدماء السابينيين[1] اعني اننا توسطنا بين الفريقين المتحاربين وحجزنا كلا منهما عن الآخر فرأى « اميل » مني حتماً انني تألمت لهذه الحادثة لانه لما رآني شحب لونه وألقى بنفسه بين يدي طالباً مسامحته

اني في الحقيقة ولا أخفي عليك قد انجرح قلبي لهذا المنظر وان كنت اعلم انك في يوم ما ستعلمه من غير شك ان هناك حروباً مبنية على الحق والعدل وان من اجل ما يتصف به الانسان ويحمد عليه الذود عن حوزة بلاده والموت في سبيل الدفاع عن رأيه ولكنه في السن الذي هو فيه الآن لا يفهم هذه الدقائق ولا يرى في الكفاح على اي حال الا ما يراه معظم الناس من كونه وسيلة للشهرة والتمايز وذريعة الى ظلم الاكفاء والنظراء . وسواء اتخذ الاطفال لواءهم من الورق او الخرق البالية تراهم

---

(١) السابينيون أمة قديمة كانت تقطن الجزء المتوسط من ايتاليا اقام قسم منها في رومية مع تاتيوس وبقي القسم الآخر في الجبال حتى اخضعه توريوس دانتاتيوس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كالجنود منقادين الى وجدان واحد لا تقوى فيه ولا ايمان فتبعثهم غرائزهم الوحشية على ان يرفعوا ايدياً لا ينقصها من اول نشأتها الا قوة القتل ليضربوا بها اخوانهم . اذا كانت الحروب تنتشب بين الحكومات فليس ذلك الا لان غريزتها قد سكنت قلب الانسان من امد بعيد وكيف لا تسكنه ونحن نرى القائمين على الاطفال يصرفون عنايتهم الكبرى فى اعلاء شأن صدى الانسان الى شرب الدم الذي يجعلنا كالوحوش الضواري فاى اسم من الاسماء الجميل ظاهرها كالشرف والظفر وحب الوطن لم يقرن بذلك الميل الذى تعبده الناس كما كانوا يعبدون وثن ملوخ[1] واني استعيذ بالله من ان يكون قلب ولدي مغرساً لهذه الشهوة التى كلها كذب وقسوة.

لما انتهى امر هذه الواقعة اخذت « اميل » بيده وانطلقنا فاتفق ان رأيت فى طريق تلك الساعة كلبين ضئيلين يقتتلان ويعض كل منهما الآخر على عظمة قد قرض نصفها فقلت له تأمل فتلك صورة جميع ميادين القتال ولست على يقين من انه ادرك هذه المرة معنى ذلك الكلام ولكن اقل ما فى الامر انه فهم سبب تأثري لانه وربك كان بالغاً منى مبلغاً عظيماً .

انا مع اعتقادي بما فى تقبيح هذه الاوهام السيئة فى نظر « اميل » وتشهيرها من الفائدة له لا ارضى ان يكون جباناً ولو أعطيت فى ذلك ما في الارض جميعاً . وان الوالدين في الجملة يفرطون أثناء تربية أبنائهم فى اساءة التصرف بما فيهم من وجدان الخوف فانهم يجتهدون فى ارهابهم بكل ما فى وسعهم من طرق الارهاب فيخوفونهم من السماء بحجة أن سحبها تُقلُّ صواعق الانتقام ومن الارض بقولهم ان الله سبحانه قد لعنها وغضب

(١) ملوخ هو معبود الفينيقيين والقرطاجيين وكانوا يقدمون له الاطفال قرابين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليها بسبب خطيئة آدم ومن الحياة لان اعمالهم فيها ستعرض على حاكم يحصيها جميعها ومن الموت بجملته مخوفاً بمخاوف لا تنقضي الى الابد .

هذه التربية التي اساسها الارهاب والتخويف انما تلائم الارقاء تمام الملائمة ولكني في شك مريب من انها تنشئ رجالاً احراراً . فاذا كان لابد « لاميل » ان يرتاع ويفزع فليكن ارتياعه وفزعه من وجدانه وسريرته ولكني خلافاً لأولئك المربين اجتهد في تطمين قلبه وتسكين روعه من هذه المخاوف المبهمة الخيالية التي كثيراً ما تلازم اذهان الاطفال واود لو اراد شجاعاً جريئاً على الاشياء وديعاً مخفوض الجناح للناس فالواجب أن تكتسي الشجاعة حلة الشرف الحقيق لا ان تتحلى منه بالبهرج الكاذب .

رأيت « اميل » كغيره من الغلمان الذين في سنه يخاف من الليل ومن كل ما ليس معروفاً له فيوجد في اقصى البستان روضة من شجر البندق المتوسط في الكبر لا يجرأ على دخولها وحده بعد غروب الشمس كأنه يخشى ان يؤكل فجأة وعلى اي حال ليس في الامر ما يدعو الى الافراط في الاستغراب فان الاطفال لم يكونوا ليشتغلوا باحدوثة الاصيبع[1] كل هذا الاشتغال الذي نلمه منهم لو لم يبق فيهم أثر من

(١) اسطورة الأصيبع احدى اساطير شارل برولت الكاتب الفرنساوي الشهير المولود سنة ١٦٢٨ والمتوفى سنة ١٧٠٣ ق . م .) التي وضعها للصغار وسماها أساطير الجن وملخصها : ان حطاباً ضاقت به الحال لأن زوجه كانت ثوراً أقل حملها التوأم فاجتمع له سبعة ولد لأكبرهم عشر سنين ولاصغرهم سبع وولد هذا ضئيلا كالاصبع فسمي (الاصيبع) وكان غصة لوالديه مهضوماً عندهما على انه اذكى اخوته وادهاهم اصابتهم سنة شهباء اضطرت الوالدين الى التواطؤ ليلا على اضلال الاولاد في غابة لكيلا يشاهدا موتهم جوعاً فسمعها الاصيبع فبات مسهداً وبكر الى شاطئ فملأ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الانسان الوحشي الذي كان يعيش محوطاً بجميع ما في الكون من الاغوال وربما ان الذي كان يمنع « اميل » من الدخول في تلك الروضة مساء هو اشفاقه من ان يقابله فيها ذئب القبيعة الحمراء[1] وبالجملة فهو نفسه لا يعرف

جيوبه حصى ابيض وكان يلقي كل بضع خطوات من طريقهم الى الغابة حصاة ولما أضل الوالدان الأولاد وعادا طفقوا يصرخون فهداهم الاصيبع الطريق وسلموا . ثم تواطأ الوالدان اخرى ولكن لم يتمكن الاصيبع من الخروج لأخذ الحصى ولكنه ادخر الكسرة التي اصابته من الخبز ففتتها والقاها في طريقهم الى الغابة ولكنه لم يهتد اليها بعد الاضلال لان الطير اكلها فصعد الى شجرة فآنس بصيص نار في الظلام فأمه باخوته فاذا هو بيت الغول فقبلت زوجه ضيافتهم في غرفة بناتها فجاء الغول وشم ريحهم وحاول اغتيالهم فاستمهلته الى الصباح وسمع الاصيبع فاستبدل تيجان البنات الذهبية بقبعاتهم فائتمه الأمر على الغول وذبح بناته ليلاً وتسلل الاخوة لواذاً ثم تبعهم بنعله ذي الفراسخ فأووا الى كهف ادركه الغول من الغد فنام فوقه ليستريح فسرق الاصيبع النعل وعاد به الى زوجه قائلاً : ان اللصوص قبضوا عليه وطلبوا منه الفدآء فارسله بالنعل ليحضر له جميع ماله فصدقت العلامة وعاد بالمال الى اخوته فحملوه الى البيت وحسنت به حالهم . وموعظة الكاتب المقصودة ان الناس يكرمون الجميل من ولدهم ويمتهنون الدميم مع انه قد يكون سبب سعادة جميع اهله

(١) يشير الى اسطورة اخرى من اساطير ذلك الكاتب ملخصها : ان جارية بارعة الجمال البستها امها قبيعة حمراء زادتها جمالاً فعرفت بها وأرسلتها يوماً لجدتها وكانت مريضة بقرص وصحفة زبدة فصادفها الذئب في الطريق ولكن صده عن افتراسها حطاب فاستبان الذئب مقصدها فدلها على طريق بعيد وسلك القريب الى جدتها فاكلها ونام في فراشها فلما جاءت الجارية دعاها الى النوم معه مقلداً صوت جدتها ففعلت وراعتها اعضاء جدتها التقليدية فقالت : اي جدتي ما اطول يديك ! قال ذلك لأحسن معانقتك . فقالت وما أطول ساقيك ! قال ذلك لاحسن العدو . فقالت : ما اكبر أذنيك ! قال لأجيد السماع : فقالت : ما أعظم عينيك ! قال لأجيد النظر . فقالت ما أطول انيابك ! قال انما خلقت كذلك لآكلك وافترسها

قصد الكاتب ان الاطفال الحسان ولا سيما البنات مخطوون في الاصغاء الى كل من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ان يعبر عما يرهبه والحقيقة انه يخاف من ذلك الشيء الذي يسمع عنه بانه يجول في الظلام .

لما رأيت ان آثار الخوف ألصق بالنفس من جميع الآثار والانفعالات وان التظاهر بمقاومتها لا يزيدها الا ثباتاً اقتصرت على ان حسنت «لاميل» دخول الروضة المذكورة مستصحباً الدبة لانها لا ترهب شيئاً ولاستعدادها في كل وقت لاقتفاء اثره فلما رأى بهذه الواسطة ان له رفيقاً لم يمتنع من الدخول ولم يلبث ان عرف ان الذي كان يشوش ذهنه الى تلك الساعة انما هو وحشة المكان وخلوه من الانيس ولم تقتض الاستفادة من هذه العبرة انا ايضاً لاني قد فهمت بها جميع ما قد زاد في نفس الانسان من القوة بسبب اختلاطه بالحيوانات المستأنسة في اعصره الاولى .

انا الى اليوم ملتزمه : مع « اميل » عدم الحوص في المسائل الدينية موافاة لرغبتك ولكن قد حصلت بيننا واقعة في الاسبوع الماضي ينبغي ان اقصها عليك . ذلك اننا رأينا في عصر ذات يوم من ذلك الاسبوع هيدبا من السحاب رصاصيّ اللون كان اول ما رأيناه قزعاً ثم تراكم حتى صار مكفهراً ثم اختلط فصار قطعة واحدة مظلمة اناخت على الماء بكلكلها وكنا نرى شعاعاً اكدر من اشعة الشمس لا يزال يخترق هذا الستار الحدادي في بعض جوانبه ولم يكن الا قليل حتى غاب في شبه

يكلمهم ولا غروان يأكل الذئب كثيراً منهم . وما كل ذئب ذئب القبيعة الحمراء فان من الناس ذئاباً يبصبصون ويتملقون للفتيات ويغازلونهن متبعين خطواتهن في الازقة والشوارع ولكنهم على مايظهرون من اللطف والحب اضر عليهن من جميع الذئاب .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

دجنة مخيفة منذرة بالمطر ثم انقطع هبوب الريح فلم يبد منه اقل نفحة وقلما كنا نسمع من بعد تنفس الخليج بامواجه وهي تعلو وتنخفض بثقل كأنها صدور المكروبين اللاهثين ونظرنا الى الشاطئ فلم نر فيه عود حشيش واحد يتحرك فكان الكون فى سكونه هذا كالمشدوه الغائب عن رشاده يتوقع حصول أمر عظيم له ثم لم يكن الا اقل من ساعة حتى عصفت العاصفة بعد كمونها ثم صدع البرق قبة السحاب المتراكب صدعاً متمجاً وقصف الرعد لأول مرة فاهتز له جميع البيت. فارتعدت فرائص «اميل» واسرع الى محتمياً بي مستنداً الى صدري كأن فى قدرتي أن امنعه من هياج القواعل الكونية ثم تعاقبت البروق والصواعق وانشأ ماء الخليج يغلي وهو اكدر مزبد كالسكب (البرنز) صهر فى مرجل ثم اخذ الريح بعد ارتفاعه فجأة يبدد سيول المطر مزمجراً وكنا نسمع هزيم الرعد فى السحاب من بعيد ونرى وميضا فجائياً متتابعاً ثم تبع ذلك كله الهدو والسكون

ولما كان « اميل » اكثر من فى الارض مسئلة قد سئلني وهو متأثر قائلاً « اماه ما هذا الذى ثار غضبه فوقنا » فحرت هذه المرة حيرة شديدة فى اجابته لاني لو قلت له ان ذلك هو الله لكنت قد القيت فى ذهنه معنى سخيفاً لذلك الذات الكامل القدرة البالغ الحكمة المبرأ عن الانفعالات فاقتصرت على ان فسرت له باحسن عبارة مناسبة لفهمه سبب هذه الظواهر التي ازعجته ولكن الغلام قد ادرك بحدسه من هذه الاصوات الشديدة التى سمعها من العاصفة ومن هذا الجو المتلئ بالمفزعات الالهية بل وربما انه ادرك ايضاً من عيني اللتين كانتا على رغمي اكثر من لساني كلاماً نعم ادرك من كل ذلك ان من ورآء هذه الآثار شيئاً آخر وذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حق لان الله سبحانه ليس ظاهراً للعيان فيشار اليه بالبنان ولكنه موجود يحس به الوجدان ويعرفه الفكر والجنان من اجل ذلك قمت انا « واميل » وادينا فرض العبادة لذلك المريد الذى لاحدَّ لارادته القادر الذى بيده مقاليد السموات والارض وان كان عقلنا لا يصل الى ادراك كنه ذاته .

انا فى كل يوم تبدولى صعوبة العمل الذى شرعت فيه فان طريقة التربية بالعمل التى اسير عليها تقتضى ان يكون فى المربى معارف انا خلو من كثير منها ولكن هذا لم يمنعنى من اعتقاد انها هي الطريقة الوحيدة فى تقويم خلق « اميل » ثم اعلم ان حياتى بدونك انما هي فراغ اجتهد فى ملئه بالقيام بذلك الفرض العظيم ولم يبق لى من غرق سفينة آمالى الا ولدنا الذى اتثبت به تثبت الغريق بلوح النجاة واحبه لذاته ولك على ان بعض هواجس مشؤمة تمرّ بخاطرى من حين الى حين فتكدر صفاء ما فى قلبي له من نفيس عواطف الحب ذلك انى اقول فى نفسى ما ذا يكون الحال اذا كان هذا الطفل بعد ما بذلناه له من صنوف العناية يخون فى مستقبل ايامه عهود والده وينكر مبادئه ويدوسها تحت قدميه ولا يكترث بما عراه من الآلام طول حياته ؛ اذاً لاقتلنَّه . . . كلا بل اقتل نفسى ولكن تحقق هذه الهواجس من المستحيل وارجوا ان يصلنى كلمة منك تزيل عنى هذه المخاوف المكدرة التى بلغ تشويشها لى الى اعماق نفسى .

« تنبيه ورجاء »

قد انقضت سنة المنار الثالثة فلم يبق منها الا عدد واحد فنرجو من المشتركين الكرام التفضل بارسال قيم الاشتراك حوالة على البوسطة وليعتمد اهل ملوى ونواحيها حضرة الفاضل الشيخ محمد اسماعيل وكيلاً للمنار .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

﴿ وعظ رمضان والمسجد الحسيني ﴾

اقترحنا في الجزء الذي صدر في غرة رمضان على الاستاذين الكبيرين شيخ الازهر وشيخ الجامع الحسيني منع الوعاظ الجهلاء من التصدي لتعليم الناس فلم يلتفتا الى الاقتراح وكان المسجد كعادته كما أومأنا الى ذلك في الجزء الماضي . ومن الناس من يظن ان الاستاذ السيد الشيخ علي البلاوي ترضيه التعاليم الخرافية لان العوام اذا تنبهوا وعرفوا الحق يمتنعون عن تقديم النذور والهدايا لصندوق المقام الحسيني الذي هو امينه وللشيوخ والخدم فيه الذين يتقاسمون ذلك معه ولكننا نقول اننا ذاكرناه في عام مضى بوجوب تطهير هذا المكان الشريف المعظم من البدع والخرافات التي اقبحها تعظيم عمود الرخام تعظيماً دينياً فوعدنا بذلك واثنينا عليه لهذا الوعد في منار السنة الماضية وراجعناه الكلام في ذلك ولكنه اعتذر عن المبادرة الى العمل بقوله : اذا قيل لهؤلاء العوام ان تعظيم الاحجار والطواف بالقبور ونحو ذلك ليس من الدين يخشى ان يختل اعتقادهم بأصل الدين لان هذا عندهم من اهم مهماته فلا بد من التدريج . وقد قبلنا في اول الامر هذا الاعتذار ثم اردنا ان نختبر ذلك بنفسنا ونتبينه بالتجربة فتصدى الفقير في العام الماضي وفي هذا العام للوعظ والتعليم في المسجد الحسيني وغيره فرأيت عامة المصريين اكثر الناس قبولاً للارشاد الصحيح واشدهم استعداداً

www.alukah.net شبكة الألوكة

لقبول الحق . ولقد كان اقبال الناس على مجلسى عظيماً حتى كانوا ينصرفون عن سائر الوعاظ الىّ وما القيت اليهم مسئلة الا وتقبلوها بقبول حسن ولكن هذا الدرس ساء الذين يمس التعليم الصحيح شيئاً من رزقهم الذى ينالهم باذاعة الخرافات وبيع « النفرانات » فحملوا بعض ذويهم على ان يشيعوا بين الناس الذين لم يسمعوا درسى اننى انكرت الاولياء وكراماتهم وانكرت الشفاعة وقلت ان سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه كالصنم « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً » وغير ذلك من الاشاعات التى أسمع فى كل يوم من الناس منها ما لم يخطر على بالى فى يوم من ايام حياتى . وكان حظهم من النجاح فى هذا الافساد ان الثناء العام على درسي وقول الناس « يا ليت لنا مثله كذا وكذا عدداً . . . » وامثال ذلك قد صار مشوباً بالانكار وأنه لا بد ان يتغلب القول القبيح وان كان باطلاً على الحسن وان كان حقاً . وفاتهم ان خرافاتهم كانت مقبولة عند البسطاء نائمة فى قلوب السذج فاستيقظت بحركتهم هذه وكل من يتكلم بالانكار لا بد ان يجد ممن عرف الحق من يرشده اليه ولو بعد حين وبذلك تتلاشى بدعهم وخرافاتهم وينسد عليهم باب الاكل بالدين كالذين قال الله تعالى فيهم « اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون »

اما هذا الفقير فلا يسره من كلام المادحين الا ان الحق مقبول . ولا يسيئه من تقول القادحين الا ان الحق عندهم مخذول . ولا يبالى فيما وراء ذلك بمدح ولا ذم لأنه لا يطلب على الأول من أربابه اجراً . ولا يخاف من الآخرين ضراً .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولست ابالي من رماني بريبة اذا كنت عند الله غير مريب

ولو كنت أرجو من الناس شيئاً لاتبعت اهواءهم واشرفت عليهم من مواقع رغباتهم بتسهيل سبل الشهوات واللذات . وتلقين الفاظ لاتضرّ معها الفواحش والمنكرات . وترويج هذا البهتان باسم الدين . كما يفعل سائر الدجالين . ولو كنت اخافهم لما فاجأتهم في اكبر مجتمعاتهم واجمع مساجدهم بانكار ما شاع فيهم من المنكرات . وتزييف ما الصقوه بالدين من البدع والخرافات كالاعتقاد بان عمود الرخام في المسجد الحسيني يضر وينفع وانه يتبرك به وكذلك باب المتولي عند جامع المؤيد والشجرة التي امام جامع السلطان الحنفي وغير ذلك من الأضاليل . ان معلمي الفتنة سهلوا على الجهلاء تعظيم هذه الجمادات تعظيماً دينياً (وذلك عين العبادة) بأكاذيب نسبوها الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم زوراً وبهتاناً كقولهم : « لو اعتقد أحدكم على حجر لنفعه » وقد هالهم اني صرحت بأنه لم يقل احد من العلماء ان هذا حديث على ان معناه فاسد لأن ظاهره ان الاحجار تضر وتنفع بسلطة غيبية . واسرار وراء الاسباب الطبيعية وان هذا النفع يلتمس منها وهذه هي حجة عباد الأصنام . بل ان من هؤلاء من حكى الله تعالى عنهم بأنهم كانوا يجعلونها قربة ووسيلة تشفع لهم عند الله تعالى كالذين عبدوا الانبياء والملائكة بهذه الشبهة . قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » الآية . وهذا التقرير هو الذي حولوه وزعموا اني قلت ان سيدنا الحسين صنم او كالصنم حاشا لله كذب المفترون وضلوا ضلالا بعيدا

بعد كتابة ما تقدم سمعت من بعض الناس ان مما اذاعه المرجفون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

زعمهم اني قلت : « ان قبر سيدنا الحسين كقبر النصراني - وفي رواية - كقبر بطرس » فدلني هذا على ان قول بعض علماء الاخلاق والاجتماع في المصريين : « ان كذبهم محصور في التحريف والزيادة والنقص وليسوا بارعين في الاختلاق » قول لا يخلو من حسن الظن اوانهم ارتقوا في هذه الايام الى ما لم يعهده بهم من قبل . ولا اراه الا سيرجع عن ذلك القول فيهم كما رجع عن قول آخر لاختلاف حالهم عن الوقت الذي قاله فيه

ذلك انه كان قال : « ان مصر ستبقى للمصريين لانهم لا يفتؤن يتناسلون وان تحكم فيهم الاستبداد . واستحوذ عليهم الذل والاضطهاد . وبلادهم الزراعية لا تنتج الا بعملهم ولا مندوحة لمن يمتلكها عن استعمالهم فيها لانهم يرضون من الاجر القليل ما لا يرضاه غيرهم فالبلاد لا تستغني عنهم والذي يحكمهم من غير جنسهم اما ان يضطر الى تركهم وشأنهم واما يتجنس بجنسيتهم ويكون منهم » ثم بعد ان فشا السكر والزنا في كل بلدة من بلادهم وكل قرية من قراهم واقبل وجهاؤهم على التفرنج القبيح رجع عن قوله وقال : ان هذه السموم الكحولية التي يشربونها من غير عقل مع فشو الداء الزهري بانتشار الفاحشة لا بد ان تكون من اقوى عوامل تقليل النسل وضعف المواليد كما هو الشأن في فرنسا التي يراعى اهلها في هاتين الآفتين (السكر والزنا) قواعد الطب في الجملة ولا يعرف المصريون شيئاً من ذلك . ثم ان التفرنج علمهم الترف والتنعم حتى انك لترى في القرى الصغيرة والمزارع من الاسراف نحو ما تراه في المدن العظيمة ونتيجة هذا كله انهم اذا لم يتداركوا هذه الآفات قبل تعميمها فلا يبعد ان يقرضوا كما انقرض هنود اميركا وان بقيت لهم بقية فانها تدغم في الامة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المتغلبة عليهم وتجنس بجنسيتهم . اه

هذا قول عالم حكيم ولكن هذه الامة منيت برؤساء من الطامعين الجاهلين الذين ينالون المال والجاه بجهل الامة ولذلك ينفرونها من كل مرشد ناصح يحملها على العمل النافع الصالح . وهي تسمع لهم لانهم يحملونها على ما تألف من الجهالات . وتحسين الخرافات

وانى اقول لمن لا يفهم البرهان . ويقدم قول الدجالين على السنة والقرآن . اذا اردت ان تعرف انى ناصح لك ومحق فى نهيك عن التمسح والتبرك بأعمدة الرخام وبالابواب والاقفاص وبالآبار والاشجار والتماس الخير من ذلك فانظر الى اكابر العلماء كشيخ الجامع الازهر ومفتى الديار المصرية والاستاذين الشيخ عبد الرحمن الشربينى والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد ابى خطوه واضرابهم او من هم دونهم فى العلم كشيخ الجامع الحسينى نفسه هل تجد واحداً منهم فعل ذلك ؟ أليس لك عقل يدلك على ان هذا لو كان من الدين او كان فيه نفع فى الدنيا او الآخرة لسبقوك اليه لأنه سهل لا كلفة فيه عليهم . فان زرت القبور فزرها كما يزورون يكن لك عذر لان للعلم بالدين والعمل به مرتبتين العلم بالدليل والبرهان وتقليد العلماء الموثوق بهم لمن يعجز عن فهم دينه بالدليل . وكل ما انكرناه فانما يقلد فيه جهلاء العامة بعضهم بعضاً . فحسبنا الله ونعم الوكيل

مسجد عمرو

هذا المسجد اقدم مساجد القاهرة تأسس فى اثر الفتح وهو الآن فى طرف العاصمة الذي يسمونه مصر العتيقة ولا تقام فيه الصلاة الا آخر جمعة من رمضان لان امير مصر يصلى هناك . ولم نحضر هذه الصلاة الا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فى هذا العلم والعوام يرون ان الصلاة فيه يومئذ موسم من مواسم الملة كالعيدين لا سيما وهم يرون ان سمو الخديو المعظم يحضره بصفة رسمية فتطلق المدافع عند اشراف موكبه الحافل على الجامع وعند خروجه منه وتصدح الموسيقى الخديوية بانغامها الشجية . ولذلك يؤمونه من جميع انحاء العاصمة فيحضر بعضهم الصلاة ويبقى خلق كثير خارج المسجد من رجال ونساء ما بين اهلين واجانب . والذين كانوا داخل الجامع يناهزون المائة الف

ومن البدع فيه انهم يستحضرون الاشجار الصغيرة والرياحين فيضعونها امام المصلين لا سيما فى جانب المحراب والمنبر . ومنها ازدحامهم بعد الصلاة على عمود من الرخام بقرب المحراب يضربه بعضهم بالنعال والايدى ويتبرك به آخرون . اما سبب الضرب فهو زعمهم ان جميع الاعمدة التي هناك جاءت من الحجاز تسعى بنفسها وعمرو بن العاص يسوقها وان هذا العامود كان قد عصى وامتنع لولا انه ارغم على المجيء وكأن الخديو السابق خاف ان يسقط العمود لشدة ما يضرب فجعل عليه حاجز من الحديد بأمره وأما التبرك فلانهم يزعمون ان فيه أثر يد النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك . والصواب ان تلك الاعمدة هي من انقاض مدينة (منف) الشهيرة وقد رمم مراراً . ومنها ان فى الجانب الايسر محراباً صغيراً يقولون انه المحراب الاصلى يدخله الناس فيمسحون استاههم فيه لاجل التبرك وهذا اقبح ما رأينا من ضروب التبرك . ومنها انهم جعلوا فيه قبراً كسائر مساجد مصر يزدحم الرجال بالنساء للتبرك به . ومنها بدعة يقال ان مجاوري الازهر هم الذين سنوها وهي كتابة الناس اسماءهم على الاعمدة معتقدين ان صاحب المسجد يحصيها ويدخل اصحابها الجنة كما سمعناه مشافهة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب

المنار

المجلد الثالث ١٣١٥

نبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاربعاء ١٦ شوال سنة ١٣١٨ — ٦ فبراير (شباط) سنة ١٩٠١)

المحاورات بين المصلح والمقلد

«المحاورة الرابعة»

اسرار الحروف والزايرجة والجفر. اقرأ تفرح جرب تحزن. هل اسرار الحروف محصورة في المسلمين وحروفهم. دفع الله الناس بعضهم ببعض. اختلاف الخطوط العربية وفي ايها السر. مبتدع هذه الامور طائفة الباطنية. رسالة كشف الحقائق في اصول عقائد الدروز المبنية على اشكال الحروف واعدادها. غرائب وعجائب في ذلك. الباطنية والصوفية. تجربة منفعة الحروف. اسباب النفع. الولع بالغرائب. الوهم. تأثير النفس. فائدة التاريخ.

رجع الشيخ والشاب الى الحوار. ومبادلة الافكار. وأراد الشاب ان يتكلما في مسئلة مرض المسلمين الاجتماعي وعلاجه ويشرح للشيخ رأيه في الاجتهاد والتقليد وكون الاسلام طريقة واحدة لا ينبغي الاختلاف والتفرق فيه على ماتقدم له الالماع اليه. فلما علم الشيخ منه ذلك استأناه قائلاً

(المقلد): فاتني ان اذكر لك في محاوراتنا السابقة اسرار الحروف

وفعلها فى شفاء المرضى وقضاء الحاجات وهي مبنية على التجربة الصحيحة الواقعية فلا يسعك انكارها لأنك تقول دائماً ان العلم الصحيح هو ما يشهد له الوجود وتؤيده التجربة الصحيحة . وكذلك الجفر والزايرجه اخبر العارفون بها بأمور فكانت كما قالوا ولقد سكت عنهما من قبل لأنى لم اكن اعلم ان لهما طرقاً علمية مضبوطة فخشيت ان تقول فيهما ما قلتَ فى حساب الجمل وبعد المفارقة رجعت الى شيخين جليلين عالمين بالزايرجه واسرار الحروف والاوفاق وقد استفنيا من هذه المعرفة احدهما مغربى والآخر مصري وسألتهما عن ذلك فأخبراني ان لهذه العلوم اصولاً صحيحة مضبوطة لاستخراج المجهولات ومعرفة المغيبات لا كحساب الجمل الذي ليس له قاعدة مضبوطة الا المعروفة فى التأريخ به كما ذكرت

(المصلح) : ان كثيراً من الناس قد اغتروا بمثل هذا الكلام وصدقوا بأن ما يقال فى الافواه والكتب من ان هذه الاوفاق والحروف مجربة صحيح فجربوا بأنفسهم ما كتبه الديربى وغيره فكانت نتيجة تكرار التجربة أن وضعوا لها هذه القاعدة التى سارت مثلاً وهى « اقرأ تفرح جرب تحزن » وانا اعتبر التجربة مؤيدة للعلم اذا كانت مطردة لا تتخلف الا لسبب معلوم ولو فى الجملة ولا بد ان يكون العلم بها متيسراً لكل احد واننا نراها هنا على قدم العهد بها محصورة فى نفر قليل من الدجالين الذين يحتالون على اكل اموال الناس بالباطل . ولو كان لها طريق علمي صحيح لارتقت بارتقاء العلم وتقدمت بتقدمه ولكننا نراها تتدلى كلما ارتقى العلم الصحيح وتتأخر حيث تتقدم المعارف الحقيقية حتى تلاشت من اكثر بلاد اوروبا واميركا الشمالية وهى من فروع علم السحر والطلسمات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(المقلد) : مَهْ فان هذه العلوم والاسرار محصورة فى الحروف العربية ومخصوصة بالمسلمين ولذلك لا تصح الا على ايدى الصالحين فاذا لم توجد فى اوروبا وانكرها اهلها فلا يصح لمثلك انكارها . واما الذين جربوها فلم تصح معهم فسببه انهم لم يقوموا بشرطها وهو إما الرياضة المخصوصة التى يعرفها اهلها واما الاذن من شيخ اعطاه الله تعالى هذا السر وهذا الكلام ينطبق على شرطك فى وجوب اطّراد التجربة وعدم تخلفها الا بسبب وهذا هو السبب . وهل يسعك انكار التواتر فى صحة هذه التجارب فى جميع البلاد الاسلامية ؟ لا أتذكر ان هذا الامر ذكر فى مجلس الا وسمعت الشهادات من الكثيرين بوقوع شيء منه لهم اما شفاء مرض واما قضاء حاجة واما دفع عاهة « ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لفسدت الارض »

(المصلح) : أرى انه لم يبق لكم من الاجتهاد الا وضع آيات القرآن فى غير مواضعها فان قوله تعالى « ولو لا دفع الله » الآية نزلت فى سياق حرب داود عليه السلام لجالوت وانتصاره عليه كما نزل قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدِّمَتْ صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » فى الاذن للمسلمين بالجهاد والمدافعة عن انفسهم لمن يحاربونهم لانهم مسلمون . ولا يجيء هنا اعتبار عموم اللفظ دون خصوص السبب لان مسئلة اسرار الحروف ليست مما نحن بصدده فى شيء . واذا كان لها وجه اليه صحيح فهو دفع مثلى لهذه الاعتقادات الخرافية التي تفسد عقول الامة واخلاقها واعمالها . ولنعد الى الموضوع

اما قولك ان هذه الاسرار مخصوصة بالحروف العربية فهو يقتضى ان السر محصور فى هذه الاشكال المعروفة للحروف وهى مختلفة الآن فخطوط اهل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المشرق من عرب وترك وفرس مغايرة لخطوط اهل المغرب ولا يشبه شيء من خطوط اهل هذه القرون خطوط القرون الاولى زمن الصحابة والتابعين كالخط الكوفي باشكاله . ومن يعلم مثار هذه البدع في الملة لا يعجب من دعوى ان لأشكال الحروف اسراراً ولو كنت مطلعاً على التاريخ لكفيتني مؤنة التطويل بهذه البديهيات عند العارفين

هذه البدعة من فتن طائفة الباطنية التي هي اشد الطوائف عبثاً في الاسلام وافساداً له حتى ان بلاءها لا يزال ينمو ويتجدد الى الآن وآخر فرقهم البابية والبهائية . وقد راجت بدعتهم هذه كاكثر بدعهم في سوق التصوف للتشابه بل والاشتباه بين غلاة المتصوفة وبين الباطنية وهذا هو منتزع قولك ان هذه الاسرار لا تظهر الا على ايدي الصالحين او من اذنوا له بها . اصاب المسلمين رشاش من تلك البدع فأفسد فيهم ما افسد واما الباطنية انفسهم فليست الحروف واشكالها واعدادها وتناسبها وتخالفها وطبائعها معدودة من اسرار الدين الكمالية . كما يزعم جهلة المسلمين بمذهب الصوفية . بل هي من اصول الدين وقواعده الاساسية . وقد مزجوا الكلام عليها بعلم الحساب والنجوم كما فعل حسن الصباح رئيس الاسماعيلية وغيره

انا لم اكتف بما رايت في كتب التاريخ العربية من اخبار طوائف الباطنية بل وقفت ايضاً على كثير مما اكتشفه مؤرخو اوروبا وزدت على هذا ان وقفت على بعض الكتب الخطية لطائفة الدروز والنصيرية . وهذه الكتب من بنات الحقاق ومخبآت الصناديق لا يجوز عندهم طبعها ولا اطلاع احد غير رؤساء الدين عليها

(المقلد) : ارجو ان تطلعني على شيء من هذه الكتب السرية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(المصلح) : لا اسمح باعارة هذه الكتب لاحد ولكنني أقرأ لك منها جملة او جملتين لتزداد يقيناً . ثم فتح درجاً من منضدته واخرج منه رسالة وقال : هذه الرساله الموسومة بكشف الحقائق . وهي في اصول مذهب الدروز وقلب منها اوراقاً وقرأ ما يأتي : « وقد ذكرنا لكم في السيرة المستقيمة بأن آدم الصفاء هو العقل وكان اسمه شَطْنِيل واسم ابليس حارَث وانما ذكرناهما في وقت ظهور الصورة البشرية وهو تمام سبعين دوراً . وكذلك قلنا حارث اربعة احرف (ح) ثمانية (ا) واحد (رث) ستمائة ساقط يبقى من جملة الاسم تسعة . والتسعة اذا كتبتها كانت اربعة احرف ت س ع ه والاسمين حارث وابليس اذا حسبتهما يبقى منهما اربعة احرف لان بقية اسم حارث تسعة وبقية اسم ابليس سبعة تسقط اثنا عشر يبقى اربعة احرف سوى . فقد حسبنا اسمه بالطول والعرض ومزدوجاً وفرداً فوجدناه اربعة احرف ووجدنا التاء التي في آخر الاسم حارث اول حروف التسعة دليل على ناموس الناطق وزخرفه في كل عصر وزمان وان اول النطقاء هو آخرهم وانما يتصور في الاقصة بالتكرار كما ان الولى قائم في كل عصر وزمان . فبهذا السبب اهل الشرائع يرون محبة الاعداء كافة ولا يرون محبة رجل موحد ولا يكون في الحجة اوضح من هذا ولا ابين منه

« ثم رجعنا الى العقل فوجدناه ثلاثة احرف والنفس ثلاثة احرف لكنهما يفترقان في حساب الجمل الكبير . وكذلك جهال الشيعة ينظرون الى العقل والنفس بعين الدعوة لا غير وهما يتفاضلان في المنزلة لان العقل هو الذكر والنفس بمنزلة الانثى والذكر هو المفيد والانثى هو المستفيد والعقل اذا حسبناه في حساب الجمل الكبير وجدناه مائتين والنفس مائة وثلاثين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فوجدنا اسم العقل زائد عن اسم النفس سبعين درجة وهم حدود الامامة والتوحيد

وانا اعدهم لكم بمشيئة مولانا سبحانه حتى لا تشركون به احد من خلقه . فأولهم (النفس) واثنى عشر حجة له فى الجزائر وسبعة دعاة للاقاليم السبعة كما قال « عليها تسعة عشر » . و (الكلمة) واثنى عشر حجة وسبعة دعاة للاقاليم السبعة لان للكلمة نظير النفس . و (السابق) واثنى عشر حجة لا غير . و (التالى) واثنى عشر حجة لا غير لان له مثل ما للسابق . و (الداعى) المطلق وله مأذون ومكاسران فصاروا الجميع سبعين حداً منهم تفرعت جميع الحدود العلوية والسفلية وهم كلهم من قبل العقل وهو الامام المؤيد من قبل مولانا سبحانه وتعالى يسقط منهم من يريد ويرفع درجة من يريد بتأييد مولانا العلى الاعلى سبحانه وارادته كما قال فى القرآن « انما امره اذا اراد شيئاً » الى — ترجمون —

« فهؤلاء الحدود السبعون الذين ذكرناهم هم اذرع السلسلة الذى قال فى القرآن « خذوه فغلّوه » اى ضد الامام اذا بلغ غايته وتمت نظرته خذوه بالحجج العقلية وغلوه بالعهد وهو الذبح الذى قالوا بان القائم يذبح ابليس الا بالسنة « ثم الجحيم صلّوه » اى غوامض علوم قائم الزمان الذى تتحجم العلماء والفهماء عند علمه اى يصمتوا ويتحيروا « ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » اى ميثاق قائم الزمان الذى هو سلسلة بعضها فى بعض وهم سبعون رجلاً فى دعوة التوحيد « انه كان لا يؤمن بالله العظيم » اى الضد الروحانى ما كان يقر بامامة شطنيل وفضيلته » الخ

(المقلد) : قد ضاق صدرى من هذا الكفر الذى لا اساس له الا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الشبه الحسابية وانى ارى لفظه فاسداً كمعناه ولا ادري لِمَ لم تصلح عبارته . ثم ان ما قرأته ليس فيه شيء يدل على اعتبار اشكال الحروف وصورها

(المصلح) : انني كتبت هذه الرسالة كما وقعت الى من بعض الجنود العثمانية الذين حاربوا دروز حوران فى الفتنة الاخيرة ولم اصلح شيئاً فى عبارتها ولا فى املائها لانى سمعت ان هذا الغلط عندهم علامة على الصحة وعدم وقوع الكتاب فى يد اجنبي . واما اعتبارهم اشكال الحروف مع اعدادها فاسمع ما اقرأه عليك فيه . ثم قلب اوراقاً وقرأ ما نصه

« والالف والباء والتاء والثاء يتشابهون بعضهم ببعض (كذا) غير ان الالف يكتب بالطول والباء والتاء والثاء تكتب بالعرض فالالف دليل على العقل وهو الامام والالف قائم بلا نقطة فوقه ولا علامة تحته والباء دليل على النفس وهى الحجة وتحته نقطة واحدة لان بينه وبين العقل حداً واحداً وهو الضد الروحانى فصارت نقطة الباء من تحت حيث عصى الضد امر باريه . ونافق على امامه وهاديه . ولو كان الضد طائعاً لكانت نقطة الباء من فوق فلما سبق الضد صار حزبه اكثر من حزب النفس . والتاء دليل على الكلمة وفوقها نقطتان دليل على الحدين اللذين فوقه . والثاء دليل على الجناح الايمن وهو السابق رابع الحدود الذين فوقه فى المرتبة وكثْبتُهم (هكذا ضبط فى الاصل) بالعرض دليل على طاعتهم للامام الذى هو العقل وقبولهم منه » وذكر فى الرسالة ههنا كلاماً ثم قال :

« ثم نرجع الى الحروف ومعانيها على الترتيب فالجيم والحاء والخاء فى الصورة شيء واحد لكن بينهم فرق كثير فى الحقيقة لان الجيم دليل على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شريعة الناطق الظاهرة والنقطة التى تحتها دليل على شريعة الاساس التى هى تحت الظاهرة مستورة فيه » — الى ان قال — « والحاء فى حساب الجمل ثمانية وكذلك قائم الزمان احتوى على علم الثمانية الذين هم حملة العرش كما يقال « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » وهو توحيد مولانا العلى الاعلى سبحانه وعبادته . وكذلك الميم والواو والراء والزاي والنون شيء واحد وهذه صورتهم عند نزولهم مـ و رزـ نـ لكن الميم شكلته من خلفه مدورة والواو شكلته قدامه وهـذه صورتهما والنون يبقى على حاله لكن فوقه نقطة والميم دليل على محمد والواو دليل على وصيه وشكلتيهما دليل شريعتيهما وشكلة الميم من خلفه مدورة كذلك شريعة الناطق ظاهرة وشكلة الواو قدامه كذلك شريعة الاساس باطنة ولولا الشكلتان اللذان على الميم والواو لما كانا يعرفان . وكذلك محمد وعلى لولا ظاهر الشريعة وباطن التأويل لما كان يقع عليهما اسم الناطق والاساس » الخ الخ

(المقلد) : لقد بغّضت الىّ هذه الحروف بهذا الكلام المذيان ولولا ما ذكرت لك من التجارب الصحيحة على انتفاع الناس بفوائدها لوافقتك على القول بعدم تلك الفائدة والحمد لله الذى جعلنا من اهل السنة والجماعة الذين لا افراط عندهم ولا تفريط

(المصلح) : ان اهل الحق الذين سلموا من الغلو فى الدين ومن الافراط والتفريط هم السلف الصالحون الذين كانوا على هدي الراشدين رضى الله عنهم . فان الذين يسمون انفسهم اهل السنة فى هـذه القرون المتأخرة لم يسلموا من بدع الباطنية وغيرهم ولكنهم سموها باسماء اخرى ولوقابلت بين كلام الباطنية وكلام الصوفية من اهل القرن الرابع فمن بعدهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لم تجد الا فرقاً يسيراً . على ان فقهاء هذا العصر يتعصبون لهذه الحروف ويطعنون فى دين من يقول بلزوم تبديلها لما فيها من المعايب التى يعسر معها التعليم ويكثر التحريف . واما ما ذكرت من التجارب ففير منضبط ولا متحقق بحيث يعلم ان يكون من التأثير فى بعض التجارب هو من الحروف . واني انا جربت بنفسي شيئاً من ذلك فأفاد وعاشرت من اشتهروا بأن تعاويذهم وتمائمهم لا يتخلف تأثيرها وصدقوني الخبر فيما يكتبون . كان من هؤلاء شيخ من الاشراف يقصده المسلمون والنصارى من بلاد كثيرة ليكتب لهم ما يستشفون به الامراض او يستعطفون قلوب من يعشقون الى غير ذلك من الاغراض . وقد اخبرني انه يكتب للمسلمين آيات من القرآن ولغيرهم هذه العبارة « رز باللبن . عافية على البدن . رز بحليب . كلما برد يطيب » وكانوا ينتفعون بذلك والسبب فى غالبه الوهم الذى يحدثه الاعتقاد على ان اكثر ذلك لا ينفع ولا يفيد ولكن الناس ينسونه ويحفظون ما تحدث عقيبه الفائدة المطلوبة وان كان حدوثها لسبب آخر خفي عنهم بل يعمون عن السبب وان كان ظاهراً لانهم مع اتخاذ هذه الوسائل الغريبة الغيبية يأخذون بالاسباب الظاهرة الطبيعية وانما ولعهم بالغرائب هو الذى يذهلهم عن السبب الظاهر ويحملهم على اضافة الاثر للوسيلة الغريبة غير الطبيعية

ومن الناس من أُعطي استعداداً للتأثير بنفسه اذا هو وجهها الى الشيء بهمة قوية وعزيمة صادقة وقد وجد فى كل امة افراد من هؤلاء فكانوا فتنة للناس والبحث فى هذا التأثير من ادق مسائل علم النفس ومن علماء الفلسفة من ينكره ولا سعة معنا فى الوقت للخوض فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(المقلد) : لقد سمعت اليوم ما لم اسمع بمثله من قبل وظهر لى ان من يطلع على التاريخ يمكنه ان يورد شبهاً على علوم الدين لا يمكن دفعها لغير المطلع عليه اطلاعاً واسعاً ولا أرى المشايخ الذين يقولون بكراهة قراءته ويزعمون ان الاطلاع عليه يضعف العقل الا فى ضلال مبين . ولكننى أرى انه يشترط ان يكون المطلع عليه كالمطلع على الفلسفة والمنطق كامل القريحة راسخاً فى العقيدة أو كما قال الاخضرى

ممارس السنة والكتاب ليهتدى به الى الصواب

(المصلح) متبسماً مستبشراً : احمد الله تعالى على اقتناعك بفائدة علم التاريخ فانه منذي العقل ومربى الامم وينبوع علم الاجتماع الذى هو افضل العلوم الكونية وانفعها واذا اردت مطالعة كتبه فابدأ بمقدمة ابن خلدون وها انا ذا اقدمها لك هدية فاقرأها بامعان فانها مفخر الامة الاسلامية على الامم الغربية فانها استاذهم الاول فى فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع البشري (السسيولوجيا) واصول السياسة وعلم التربية والتعليم (البيداجوجيا) وهى مترجمة الى جميع لغاتهم ولكنهم توسعوا فى العلوم التى استفادوها منها حتى نقضوا كثيراً مما ابرمت . وهدموا بعض القواعد التى بَنَتْ .

فتقبل الشيخ الهدية شاكراً وانصرفا على ان يعودا الى البحث فى الجفر والزايرجة قبل الخوض فى بحث الاجتهاد والتقليد وعلاقة ذلك باعادة مجد الاسلام

﴿ امالى دينية — الدرس ١٧ فى العقائد ﴾

(كلام الله تعالى)

م (٥٠) كل قضايا الدين تعرف من الوحي الاّ الايمان بالواجب الذى يسند اليه كل موجود من الممكنات ويكون هذا الواجب ليس من جنس الممكنات ولا يشابهها فى صفاتها وبأن ما يصدر عن قدرته الكاملة منها يصدر بارادة واختيار عن علم وحكمة . ثم ان الوحي الذى به علم الانبياء عليهم الصلاة والسلام كيف يرشدون الناس سماه الله تعالى كلاما واضافه اليه بمثل قوله « وان أحد من المشركين استجارك فأجِرْهُ حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه » . والعقل يشهد أن رجلاً أمياً تربّى يتيماً فى امة جاهلية ليس فيها علم ولا حكمة ولا سياسية حتى بلغ اربعين سنة لم يصدر عنه فيها شيء يؤثر من علوم الاجتماع والشرائع والاخلاق والسياسة المدنية والحربية وغير ذلك لا يمكن فى العادة ان تصدر عنه هذه المعارف والعلوم بعد ذلك فضلا عن القيام بها تعليماً وعملاً على وجه يكون له اعظم اثر فى العالم بل المعهود فى البشر ان الذين يتعلمون الفنون السياسية والاجتماعية فى المدارس لا يحسنون سياسة البشر عملاً اذا لم يتمرّنوا عليها بالتدريج ولذلك يرشحون الذين يتصدون لسياسة الامم بالتعليم اولا ثم بتطبيق العلم على العمل بالوظائف الصغيرة كمأمور ومدير ثم بما فوقها حتى يتهون الى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الوزارة والامارة . ونتيجة هذا ان ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من التعاليم ليس من عند نفسه وانما هو مفاض عليه وموحى اليه من العليم الحكيم فهو كلام الله تعالى لا كلامه لانه لم يعهد منه مثله لا فى أسلوبه وبلاغته . ولا فى مغزاه وحكمته . وقد اشير الى هذا المعنى بقوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون » وقوله عز وجل : « قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون »

م (٥١) هذا ما يجب اعتقاده على كل مؤمن وهو الحق الابلج الواضح المنهج . وهو ما كان عليه اهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم حتى حدثت البدع والفتن التى كان من اضرها الكلام فى القرآن ومعنى كونه كلام الله تعالى والبحث فى انه مخلوق او غير مخلوق . فتنة افتحرها المعتزلة[1] وابتلي بها أئمة العلم وتلاعبت اهواء بعض الخلفاء من بنى العباس ثم محيت طائفة المعتزلة من لوح الوجود ولم تمح اقاويلهم من الواح الكتب فكل من كتب فى العقائد يذكرها للرد عليها وتطرف قوم فى الرد حتى قالوا بقدم المحسوسات . من الحروف والاصوات . توسعوا فى هذه المباحث واطالوا القول فيها حتى قيل ان هذا العلم انما سمى (علم الكلام) لان اهم مسائله كلام الله تعالى

سلك المعتزلة فى جدلهم مسلك الفلسفة فى حقائق الأصوات والحروف ومفهوماتها فقابلهم المتكلمون بفلسفة كفلسفتهم وقرروا مسئلة الكلام على النحو الذى انتحوه فى صفة العلم والسمع والبصر فقالوا ان الكلام فى اللغة

(١) اقتحر الكلام ابتدعه من عند نفسه ولم يتابعه احد عليه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يطلق على قوة فى النفس عنها يصدر الكلام اللفظى واختلفوا فى اي الكلامين — النفسى واللفظى — هو الحقيقة وايهما المجاز . واستدلوا على الكلام النفسى بمثل قول الناس « حدثتنى نفسى بكيت وكيت وقلت فى نفسى كيت وكيت » ومنه قول سيدنا عمر رضى الله عنه « زوّرت فى نفسي كلاماً » وقول الاخطل :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقالوا بناء على قاعدتهم فى قياس الغائب على الشاهد والقديم على الحادث التى سبق تقريرها فى الكلام على العلم الالهي : ان لله كلاماً نفسياً هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تتعلق بكل ما علمه تعالى تعلق دلالة وانكشاف وكلاماً لفظياً كالتوراة والانجيل والزبور والقرآن وان هذا يسمى كلاماً لله بمعنى انه يدل على الكلام النفسى او على بعض ما يدل عليه الكلام النفسى وانه ليس لغير الله فيه صنع الى آخر ما اطالوا به مما لم يكلفنا الله تعالى به . وقد ناقش فيه بعضهم بعضاً . كقول بعضهم ان بيت الاخطل لا يصح الاحتجاج به فى موضوع ديني لانه كان نصرانياً ويدخل فى نظمه المعانى والافكار التى اخذها من تعاليم دينه وقول آخرين ان البيت ليس له وان الرواية الصحيحة فيه : « ان البيان لفى الفؤاد » وكبحث بعضهم فى حديث النفس وتسميته كلاماً بان تزوير الكلام فى النفس (تهيئته وتدبيره) هو عبارة عن تصوره واذا عبر الانسان عن تصور شيء يسميه باسمه لان مافى النفس هو صورة مافى الخارج فالحديث النفسي هو صورة الحديث اللفظي المسموع بالآذان عند مايؤديه اللسان

وسواء صح هذا القول أو صح مقابله فلا ريب ان القرآن كلام الله

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعالى وقد مر فى المسئلة السابقة دليله ومن البدعة - لا من السنة — ان نزيد على ذلك بقياساتنا وفلسفتنا وقد أراحنا الله من فتن القائلين من المعتزلة وغيرهم فلانعيد شبههم وأوهامهم وحسبنا ما كان عليه الصحابة واكابر التابعين والمجتهدين . رضى الله عنهم اجمعين

م (٥٢) اقوال الائمة فى الكلام — نقل عن الائمة الاربعة المجتهدين واهل الحديث من السلف الصالحين . رضوان الله عليهم اجمعين . القول بتحريم الخوض فى « الكلام » . قال يونس ابن عبد الاعلى سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول يوماً وقد ناظر حفصاً الفرد وكان من متكلمى المعتزلة : لأن يلقى الله تعالى العبد بكل خطيئة ما خلا الشرك خير له من ان يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاماً ما اقدر ان احكيه . وحكى حسين الكرابيسى ان الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال : سل عنه هذا — يعنى حفصاً الفرد — واصحابه اخزاهم الله . وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول : لو علم الناس ما فى الكلام من الاهواء لفروا منه فرارهم من الاسد . وقال ابن كثير كان محمد بن اسماعيل الكرابيسى يقول قال الشافعي : كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد وما سواه فهو الهذيان . واخرج ابن عبد البر فى كتاب العلم عن يونس ابن عبد الاعلى انه قال سمعت الشافعى يقول : اذا سمعتم الرجل يقول الاسم غير المسمى او الاسم المسمى فاشهدوا عليه انه من اهل الكلام ولا دين له . وقال ابو على الحسن الزعفرانى قال الشافعي : حكمي فى اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ فى الكلام . وفى رواية حكمى فى اهل الكلام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لحكم عمر فى صبيغ (تقدمت قصته فى مجلد السنة الاولى من المنار)

وقال الامام مالك رحمه الله تعالى فيما اخرجه اللالكائى فى السنة عن مصعب: الكلام فى الدين كله اكرهه ولم يزل اهل بلدنا — يعنى المدينة المنورة — ينهون عن الكلام فى الدين ولا احب الكلام الا فيما تحته عمل واما الكلام فى الله فالسكوت عنه. واخرج ايضاً من رواية الحسن بن علي الحلوانى قال سمعت اسحق بن عيسى يقول قال مالك بن انس: أكلما جاءنا رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله. واخرج ايضاً من رواية محمد بن حاتم بن بزيع قال سمعت ابن الطباع يقول جاء رجل الى مالك بن انس فسأله عن مسألة فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فقال أرأيت لو كان كذا قال مالك: «فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم»

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى: لا يفلح صاحب الكلام ابداً ولا تكاد احداً نظر فى الكلام الا وفى قلبه غل. وصنف الحرث المحاسبي استاذ الشيخ ابى القاسم الجنيد رحمهما الله تعالى كتاباً فى الرد على المبتدعة ذكر فيه شيئاً من الكلام يرد فيه على المعتزلة فهجره الامام احمد على زهده وورعه. قال ابو القاسم التصرباذي بلغنى ان الامام احمد هجره بهذا السبب ولما انكر عليه تلك المقالات واجابه الحرث بانه انما ينصر السنة ويرد البدعة قال احمد: ويحك ألست تحكى بدعتهم اولاً ثم ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدع فيدعوهم ذلك الى الرأي والبحث. وقال: علماء الكلام زنادقة

وقال ابو يوسف صاحب الامام ابى حنيفة رحمهما الله تعالى فيما اخرجه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اللالكائى فى السنة والذهبي فى التاريخ والخطيب فى شرف اصحاب الحديث: من طلب المال بالكيمياء أفلس ومن طلب الدين بالكلام تزندق . وفى رواية بشر بن الوليد زيادة : من تتبع غريب الحديث كذب . وكلام السلف فى هذا كثير . والجمع بينه وبين مسلك علماء الخلف الذين اوغلوا فى صناعة الكلام والجدل ان هذا يطلب لضرورة اقناع الخصوم وردّ شبه المنكرين والضرورة تقدر بقدرها وتختلف باختلاف الزمان وانواع الشبهات فمن العبث المذموم ان تعاد شبه المعتزلة والفلاسفة الاولين فى دروس الكلام وكتبه وتعد من الفروض اللازمة وتترك شبه الفلاسفة المعاصرين وغيرهم من اعداء الدين تتلاعب بالعقول فلا يقدر الذين يتعلمون على طريقة الازهر ردها ولا فهمها بل يكتفون بتكفير من يسأل عنها وفقهم الله للعلم النافع لتحيا بهم هذه الامة

باب التربية والتعليم

﴿ الباب الثانى (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(٢٦) من اوارسم الى هيلانه فى ٣٠ يوليو سنة — ١٨٥

أنا ايتها العزيزة هيلانه اعرف فرط حبك لى وجميل اتعطافك نحوي وأقدرها حق قدرها ولكنى لست معك فيما يخامر قلبك من المخاوف فى شأن مستقبل « اميل » فانى وان كنت والده لا ارى لى حقاً بحال من الاحوال فى ايجاب ان يكون تلميذاً لى فمن ذا الذى يصح ان يتبجح بأنه قد وصل الى الحق المطلق وان حسنت منه النية فى البحث عنه واعتقد انه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يذوق المكروه من اجله . نعم انه ليؤلمني الماً شديداً ان اراه في مستقبل حياته مخالفاً لي في آرائي غير آخذ بمعتقداتي ولكني اكون انا المخطئ الملوم في ذلك دونه لانه قد يكون سببه عدم حذقي في ايصال افكاري الى نفسه او حكمه على هذه الافكار بما عسى ان يكون هو الحق فيها اعني انها اغلاط عقل صادق في بحثه عن الصواب مخلص في تلمسه طريق الرشد .

على انه لا فائدة في الاشتغال بالمستقبل فان الذي يعنينا هو الوقت الحاضر .

تقولين ان إميل محب للاستطلاع كثير المسئلة فابشرك ان هذه أمارة حسنة على نجابته ولكني انصح لك انه اذا سألك عن شيء تجهلين حقيقته فعليك ان تعترفي له بجهلك اعترافاً خالصاً من المواربة وان كان ذلك مخالفاً لما عليه معظم الوالدين ومعلمي المدارس الذين هم مصداق ماورد في الامثال « لكل فتق رتق ولكل مسئلة جواب » فكأنهم يتوهمون انه يكون لهم بهذا نوع من السلطان على عقول تلامذتهم وانت بحمد الله في غنى عن التذرع بهذه الذريعة الحطيرة لاثبات ولايتك على « اميل » اقول انها خطيرة ولا أحول عن وصفها بذلك فان في تعويد الطفل على اعتقاد ان لكل شيء معنى محققاً يمكن ان يتناوله من غير بسهولة اخماداً لقوة البحث والتفقه ومدعاة للكسل لأنه متى سبق اليه الوهم بانه يوجد في الناس علم كافل بازالة جميع الشكوك التي تعترض الذهن في فهم معاني الاشياء لايجد موجباً لتكلف البحث والملاحظة واما اذا اعترفت « لاميل » بانك لم تمعني النظر فيما يسألك عنه امعاناً يكفي لابداء رأيك فيه فانك تكونين قد عجلت بتعليمه ان اصابة الحق هي ثمرة عمل الجاد ونتيجة بحثه واي جواب يساوي هذه الموعظة ؟ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم ليحذر الولدون والمعلمون ان يكون فى ادعائهم لانفسهم نوعا من العصمة فى العلم استدبار للغاية التى يسعون اليها . ذلك ان الناشىء اذا كشف له المستقبل بغتة ما يقع فيه اولئك المصرفون لعقله من الاغلاط تزعزع اعتقاده فيهم مرة واحدة وزالت من نفسه الثقة التى ارادوا ان يجعلوها محلا لها وليس ما اخشى مغبته على « اميل » من انواع الريب هو الحذر النافع الذى يكون فيمن تعلموا من صغرهم البحث فى الامور وعدم التسليم بها قبل اتضاح وجه الحق فيها وانما الذى اخافه عليه هو مرض زوال الاعتقاد .

مما ينبغى التصريح به ان الصبغة الاعتقادية التى نراها فى طريقة التعليم عندنا ناشئة من جميع مقومات اوضاعنا الاجتماعية فانه متى اعتبر ان القائمين على الدين وعلى السياسة قد فكروا فى مصلحة الامة لزم بطريق البداهة ان طائفة من العلوم مقررة تنزل من سماء علاهم فيفرض على عقول الاحداث قبولها بلا نظر ولا مناقشة فانت تجدين فى التعليم الدينى اسراراً يتعاصى على عقل الانسان اكتناهها واعمالاً وعادات ليس فى مقدور احد من الناس تغيير شىء منها واحكاماً لا تقبل العرض على محك النظر بل تقيد قوة الادراك الى الابد فلا تجد سبيلاً الى الجولان فيها [1] واما التعليم السياسى فبهات ان يكون ما يلقيه فيه الاستاذ على

---

(١) انما دعا اراسم لتوجيه هذا الانتقاد الى التعليم الدينى كونه من غلاة اهل النظر وله ولامثاله بعض العذر فى هذا الانتقاد لما دخل على الاديان من الفساد مما دعى الى اختلاط الحق بالباطل والدين الحق لا يخالف النظر العقلى لان الاسلام يعلمنا ان اساس الدين العقل وما اخبر به الكتاب الالهى من امور الغيب ليس فيه شىء

www.alukah.net

تلامذته اقل مما ذكر الزاماً لان الاستاذ لما كان اجيراً للحكومة كان بالضرورة صدًى يردد اصوات احكامها فبخ بخ لهذا الكلام الذي لو لم يكن مؤدياً الى استعباد النفس لما رأيت لي وجهاً في انتقاده وانما كان مؤدياً الى ذلك لانه بما له من الاثر في اماتة عزيمة الناشيء يحصر فائدة التعليم في مجرد تمرين الذاكرة فوا رحمتاه لذلك المسكين الذي هو كالبعوضة حملت من تواريخ القرون الماضية وعلومها واقوال الثقات فيها ما ابهظها فعاقها عن الطيران

على انه يندر والحق يقال ان يصل ارباب هذا الحصر والتضييق النفسي الى تمام الفوز الذي كانوا يؤملونه من ورائه فان تأثير الزمان الذي يعيش فيه الطفل او ما يوجد في طبعه احياناً من المقاومة والمعارضة او ما يتلقاه من آراء اهله الذين يتربى بينهم يخلف في كثير من الاحوال ظنون القائمين على التعليم الرسمي ويأتي بعكس ما كان في حسبانهم ولكن لا بد من الاعتراف بانه لا ينجو من وحدة هذ القالب الذي تصاغ فيه الاجيال الناشئة على الشكل المطلوب الا العدد القليل واما السواد الاعظم فان مدار تعلمه يكون على التسليم والاعتقاد والوقوف عند حد ما تلقاه عن معلمه الذي يعيد عليه ما اخذه عن اساتذته فالتربية في مثل هذه الاحوال سلاح ذو حدين يتسنى به استعباد العقل كما يتسنى به تحريره ومرجع الحكم في ذلك الى المصادفة والاتفاق واني لن ارضى ان اكل مستقبل « اميل » الى قذفات اتفاق ومصادفات الحق والباطل وتقورها الحرية والاسترقاق ولو

ممنوع في نظر العقل ومن لم يصدق الا بما يراه لا يمكنه ان يثق بقول مؤرخ ولا طبيب ولا كيماوي ولا طبيعي اذا قالوا واكتشفوا شيئاً حتى يراه بعينه ويكتشفه بنفسه وذلك يدعو الى ان يكون كل انسان اجهل الجاهلين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أوتيت فى ذلك انفس شيء فى العالم كله.

على انى اعوذ بالله ان اجحد ما للآثار السلف من المزايا والفوائد الا ان فى الاخذ بهذه الآثار كما فى الاخذ بغيرها من الامور حداً وسطاً يصعب تمييزه فالعقل الذى لا يتلقى شيئاً من المجتمع الذى يعيش فيه يصير إما متوحشاً وإما احمق واما الرجل الذى يتلقى منه كل شيء بالتسليم مرتكناً على ثقته به مجتنباً مشقة النظر فيما تلقاه منه بدعوى ان من سبقوه قد كفوه مؤنة ذلك وكانوا اصح منه نظراً فانه لا يكون ابداً الا ضعيف العقل معطلاً بوقف نفسه على جميع ضروب الاستعباد. ثم اعلمى ان معظم اغلاطنا ومعتقداتنا الباطلة مبنى على آراء يتداولها الناس ويرون تسليمها واعتبارها حقائق معصومة من تطرق الباطل اليها اسهل عليهم بكثير من استقصائها واستجلاء الصواب فيها بنور العقل فمثل هذه الآراء تسري الى نفوسنا من اول نشأتها وينتهى امرها الى ان تكون من الامتزاج بها بحيث يلزم لاستئصالها فى المستقبل بذل جهد عظيم فى اعمال القوة الحاكمة والاستعانة بشيء من الاقدام والبسالة. نعم انه لمن الصعب جداً ان لا يعلق بنفس «اميل» شيء من تلك الافكار الفاسدة ولكن الذى يهمنا ان يكون ما يتصل به منها اقل ما يمكن وان يجد فى مستقبله من حرية نظره وسيلة لتمييزها والخلاص منها.

وجملة القول ان طريقتك فى تربية «اميل» قد نالت من رضائى واستحسانى اكمل حظ ووقعت من قلبي اجلّ موقع فان التربية عمل ملاكه بذل النفس وقوامه الحب وانى اعرف من كبار الرجال من دأبهم الاحتراس والانقباض فى معاشرة الاخصاء ومخالطة الاصفياء فامثال هؤلاء

لا ينبغي ان يعهد اليهم بتربية الاحداث لانه يشترط فيمن يتولونها ان يكون فيهم من انبساط النفس ما يأخذ بقلوب الناشئين اليهم وان يكونوا من المحدثين فيها المبعوثين عليها ببعض البواعث الفطرية فربى الطفل ومعلمه الحقيق المستكمل لهذه الشروط انما هو امه .

ثم اني مستحسن كذلك ما رأيته من ادامة الدرس والمطالعة ليتيسر لك القيام بهذا الفرض الذي قدرلك ولكني اعظك بان تجعلي هذه الحقيقة دائماً نصب عينيك ألا وهي : ليس اول شرط في التربية ان يكون المربي عالماً وانما هو ان ينسى جميع ما تعلمه ليعود الى تعلمه مرة اخرى مع الطفل اه

﴿ المرأة الجديدة ﴾

كتاب جديد لحضرة العالم الفاضل قاسم بك امين المستشار في محكمة الاستئناف بمصر جعله تتمة وإيضاحاً لمباحث كتاب (تحرير المرأة) الذي نشر في العام الماضي فكان له من التأثير ما لم يعهد لكتاب سواه وردًّا على الكتاب . الذين انتقدوا ذلك الكتاب . وهو في آياته الباهرة . وأساليبه الساحرة . مع الذي تقدمه كالصنوان . وفرسي الرِّهان . ولا غرو فهما فائضان عن ذلك الينبوع العذب . وفرعان من دوح ذلك النبع أو العذب (نوعان من الشجر) ولذلك رأينا لهذا من التأثير مثل ما كان لأخيه . فقد اشتغلت الاقلام بمدحه وبالطعن فيه . وكل اناء ينضح بما فيه .

فمن المقرظين صاحب العطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس مجلس النظار واصحاب الجرائد اليومية المعتبرة ومن المنتقدين باعتدال بعض اساتذة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المدارس الاميرية ومن القادحين اصحاب الجرائد الصغيرة غير المنتشرة . واكثر هؤلاء سخفا . وابينهم ضعفاً . من زعم ان تربية النساء على الطريقة الاميركانية التي يمدحها صاحب كتاب (المرأة الجديدة) يضر هذه البلاد ولا ينفعها — لا لاختلاف القطرين ولا لاختلاف الدين ولا لاختلاف المصالح والمنافع — ولكن لاختلاف « الاميال والعوائد » فما هذه الاميال والعوائد التي يقدسها هذا الكاتب ويفضل البقاء عليها على التربية التي اساسها الاستقلال والاعتماد على النفس ليقتدر المربى على القيام بشؤن نفسه وشؤن بيته وكفالة من يكلفه الشرع والطبع بكفالتهم . فان الايامى والخلايا من النساء مكلفات بأنفسهن شرعاً ومكلفات بالكفالة والنفقة لمن لا كافل ولا عائل له من اصولهن وفروعهن بشرطه . الاميال تتبع العادات ولو كانت عاداتنا حسنة وميلنا مصروفاً الى الخير لكنا من الامم العزيزة القوية ولما شكا عقلاؤنا وفضلاؤنا من ضعفنا وتأخرنا وتقدم الاقوياء علينا . وهل جاءنا هذا البلاء والشقاء حتى صرنا وراء الامم كلها بعد ان كنا في مقدمتها الا من فساد العادات ؟ اذا لم يقل ذلك الكاتب انه من العادات فلا مندوحة له ان يقول انه من الدين . كما يقول اعدى اعداء المسلمين

يتألف كتاب (المرأة الجديدة) من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

اما المقدمة ففي تعريف المرأة الجديدة وانها ثمرة العلوم والاكتشافات العصرية والتعريض بالذين ردوا على كتاب تحرير المرأة والتصريح بأن المؤلف لا يكتب لينال تصفيق الجهلاء وانما يكتب « لاهل العلم وعلى الخصوص للناشئة الحديثة » .

واما الفصل الاول ففي «المرأة في حكم التاريخ» واهم مسائله (١) حكم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكنيسة فى المرأة الهاضم لحقوقها و (٢) تأثير الاستبداد فى فساد حال المرأة و (٣) الشواهد الواقعية على نجاحها فى اعمال الحكومة مع عدم الاخلال بشؤن البيت و (٤) ادوار حياة المرأة الاربعة وذلك خلاصة بحثه التاريخى . وهي : الاول الحرية فى العصور الاولى عند ما كانت الانسانية فى مهدها والثانى الاستبعاد الحقيق عندما تشكلت العائلة والثالث الاعتراف لها بشىء من الحق مع خضوعها لاستبداد الرجل عند ما قامت الانسانية على طريق المدنية والرابع الحرية التامة عند ما بلغت الانسانية مبلغها من المدنية . ثم ذكر ان المرأة المصرية اليوم فى الدور الثالث من حياتها التاريخية . والكتاب ناطق بانها لا بد ان تبلغ الدور الرابع اذا ارتقى المصريون فى المدنية الحاضرة كما هى سنة الترقى الواقعة وانما طلب مساعدة هذا الترقى بما يقتضيه حال الامة ولا معنى للتربية الحقيقية الا هذا

واما الفصل الثانى ففي (حرية المرأة) ومهد له فيما قبله بالفرق بيننا وبين الاوروبيين فى ذلك واهم مسائله (١) الحرية الانسانية وخطأ الفلاسفة فيها وحال النساء فيها قديماً و (٢) تداخل الحكام فى المعيشة الخاصة و (٣) مراد المؤلف بحرية النساء و (٤) بحث علمي فى المفاضلة بين الرجل والمرأة و (٥) الحجاب والعفة و (٦) المقابلة بين منافع الحجاب ومضاره . و (٧) الحرية واثرها والتدريج الطبيعى فيها

واما الفصل الثالث ففي (الواجب على المرأة لنفسها) واهم مباحثه (١) تقسيم اعمال الانسان الى ثلاثة انواع مايحفظ حياته ومايفيد عائلته ومايفيد الوجود الاجتماعي وصرح بانه يطالب المرأة بالاعمال والمعارف التى تتعلق بالاولين لا بالثالث . و (٢) الحكم فى حقوق النساء ووظائفهن وواجباتهن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالخيالات والنظريات والحكم بالاختبار والوقائع . و (٣) انتقاد عادات العرب في امتهان النساء وبيان ان سببه كون معيشتهم من الحرب والنهب وان تلك العادات اثرت في المسلمين ثم بيان الفرق بين نساء العرب والنساء المصريات في المعيشة ولوازمها المقتضي تغير الحكم والعمل . و (٤) احتياج المرأة لمعرفة وجوه الكسب وارتفاع المكانة والاستدلال على ذلك بالاحصاء الاخير . و (٥) النقل عن العالم الازهري وغيره من الذين ردوا على كتاب (تحرير المرأة) ان المرأة لا تمنع من كشف وجهها للعمل ومباشرة اعمال الرجال والاختلاط بهم اذا لزم ذلك لكسب عيشها ويبني المؤلف على هذا ان تستعد المرأة لذلك قبل وقوعه ويقول انه يجب ان يكون عاماً لا مخصوصاً بحال الضرورة . و (٦) تمنى لو يتعلم النساء حرفة تربية الاولاد وصناعة الطب للاستغناء عن تطبيب الرجال لهن

واما الفصل الرابع فهو في (الواجب على المرأة لعائلتها) واهم مسائله (١) القول باتفاق الناس على ان زمام العائلة بيد المرأة و (٢) تربية الأولاد وفيه ان من جهل النساء كثرة موت الاطفال قال : « وقد اطلعت على إحصائية مصلحة عموم الصحة التي نشرت في هذا العام فوجدت ان عدد المتوفين من الاطفال الذين لم يتجاوز عمرهم خمس سنين هو في مدينة القاهرة ١٤٥ في الالف ويقابل ذلك في مدينة لوندره ٦٨ في الالف » ثم قال « ان الامهات الجاهلات يقتلن في كل سنة من الاطفال ما يربو على عدد القتلى في اعظم الحروب وكثير منهن يجلبن على اولادهن امراضاً وعاهات مزمنة تصير بها الحياة حملاً ثقيلاً عليهم طول عمرهم » و (٣) اشراك الاباء مع الامهات بالجهل بالتربية و (٤) بيان ان غاية التربية الفضلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« ان يحكم المرء نفسه » وهو ما عبرنا عنه آنفاً بالاستقلال وان التربية انما تكون بالاقتداء وان قدوة الاطفال فى الطور الاول من الحياة الامهات وهذا الطور هو الذى تنطبع فيه الاخلاق ويتربى الوجدان وهما مبعث جميع الاعمال . فلا بد ان تكون القدوة فيه مثال الكمال . فى اصلي الفضيلة والاستقلال . و (٥) تعظيم شأن النساء المهذبات والاستشهاد بذكر نوابغ منهن . و (٦) البحث فى علاج ضعف الامة الاسلامية وبيان ان سببه إما الاقليم واما الدين واما « العائلة » ثم منع الاولين وحصر السبب فى الثالث الذى مداره على المرأة . ونحن معه فى ان فساد التربية سبب مباشر لضعف الأمة ولكننا نقول ان من اسباب هذا السبب فهم الدين علي غير وجهه والابتداع فيه والدليل على هذا ان الجماهير من المسلمين . يحتجون على منع تربية النساء وتعليمهن بالدين . ولهذا جعلنا جل عنايتنا فى المنار مصروفة الى الاصلاح الديني بعد ان قلنا فى بيان منهاج الجريدة فى العدد الاول منها ما نصه « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين » و (٧) الرد على الزاعمين ان الأوربيين يشكون من حرية نسائهم وبيان ان الشكوى من بعض نتائج الشيء النافع لا يتضمن الحكم بابطاله كحرية الطباعة مثلاً من نتائجها تطاول بعض الجهلاء وابطالها لمنع التطاول دواء امرّ من الداء واضرّ

واما الفصل الخامس ففى (التربية والحجاب) وسنتكلم عنه وعن الخاتمة فى الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأخبار التاريخية

« السلك البرقي الحجازي »

وصل هذا السلك الى المدينة المنورة في شهر رمضان المعظم وورد منها رسالة برقية على دولة الغازي مختار باشا تهنئه بشهر الصوم تصريحاً وتبشره بوصول الخط تضميناً. ويالها من مأثرة تزين تاريخ مولانا السلطان الاعظم ثم تاريخ حاجبه الامين الذي تولى هذا العمل الجليل وانجزه بأقرب وقت الا وهو صاحب السعادة الفريق صادق باشا العظم اكثر الله تعالى في الدولة من امثاله .

(الاذن بالحج لمسلمي الجزائر)

قرأنا في جريدة المبشر الغراء (وهي الجريدة الرسمية لولاية الجزائر) الصادرة في ٢١ رمضان ان والي الجزائر العام اصدر اذنه في ١١ يناير لمسلمي الجزائرية بالحج بناء على ان الحالة الصحية في النواحي الشرقية تحسنت وان الحجر الصحي في الطور بلغ درجة مرضيّة . ولا شك ان سيتلو هذا الاذن اذنٌ آخر لمسلمي تونس لان العلة في المنع الرسميّ واحدة وبذلك تدحض حجة الذين يقولون ان فرنسا تمنع رعاياها ومن تحت حمايتها من المسلمين من اداء الحج بباعث التعصب الديني وقصد محو الشعائر الاسلامية

(البوير والانكليز)

عادت الحرب الى شبابها أو شبوبها بعد ما ظن الناس انها خمدت نارها ووضعت أوزارها ورجع القائد العام للجنود الانكليزية الى انكلترا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكثير من الجند ايضاً . ويظهر ان هؤلاء البوير الذين ادهشوا العالم ببسالتهم ودهائهم لما رأوا من عدوهم كثرة الزحوف ومئات الالوف علموا انه لا قبل لهم بمصادمتها فخلوا السبيل بينهم وبين عاصمة بلادهم (بريتوريا) بعد ما اخفوا السلاح وذهبوا بالخيول فلما اغتر الانكليز بدخول العاصمة ورأوا ان الرئيس كروجر المدبر العظيم خرج من بلاده متظلماً الى اوروبا واعلنوا امتلاكهم لجمهوريتي الترانسفال واورانج وكان من امر قائدهم ما ذكرنا وفرقوا قوتهم في البلاد التي احتلوها — فلب البوير لهم ظهر المجن واظهروا قوتهم الكامنة وزحفوا على مستعمرة الكاب الانكليزية يثيرون ثائرة اخوتهم في الجنس الهولندي من رعايا الانكليز على مساعدتهم وانشأوا يناوشون الانكليز من مواضع مختلفة فيحالفهم النجاح في الغالب ويقطعون السكك الحديدية الانكليزية وينهبون ما فيها . وظهر للانكليز ان قائد البوير (دي ويت) شيطان مارد لا نظير له عندهم ولا عند غيرهم وان السلاح والخيول عند العدو كثيرة جداً وان خيول البوير مضمرة ومعلمة بحيث تشبه خيول التتار الذين اغاروا على المسلمين فمزقوا شملهم . فاضطر اللورد كتشنر الى طلب الخيول والجيوش من بريطانيا . وقد صار الحكم على هذه الحرب احوج من قبل الى كثرة التروي والى الله تصير الامور

﴿ وفيات ﴾

(سعد الدين باشا القباني) في يوم الجمعة ٢٧ رمضان وافت هذا الشيخ الجليل منيته عن ٨٨ سنة قضى معظمها في خدمة الدولة العلية ما بين عسكرية وملكية . وهو كبير بيت القباني الكريم في بيروت وشقيق زميلنا الفاضل الشهير صاحب السعادة عبد القادر بك القباني صاحب جريدة ثمرات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفنون الغراء ورئيس البلدية في بيروت فنعزي شقيقه وسائر آله على فقده ونسأل الله تعالى ان يتغمد فقيدهم برحمته ويسكنه فسيح جنته آمين

(جمال الدين افندي قاضي مصر) في يوم عيد الفطر نزل القضاء الالهي بهذا الرجل الفاضل الجليل بعد مرض طويل وكان من أصحاب رتبة قاضي عسكر التي هي أعلى الرتب العلمية في الدولة العلية وتولى منصب القضاء في بيروت وغيرها قبل مصر فكان مثال العفة والاستقامة ومكارم الاخلاق كما كان في السنين العشر التي قضاها في قضاء مصر ولا غرو فهو من بيوتات المجد المشهورة بالفضائل في الاستانة العلية. مات عن نحو ستين سنة تغمده الله تعالى برحمته وغفرانه وعوّض مصر عنه خيرا بتوفيق مولانا السلطان الاعظم لتولية قاض عادل فاضل لمصر يقيم القسط ويحفظ شرف الشريعة

(فكتوريا ملكة الانكليز)

في اليوم الثاني من شوال و ٢٢ يناير الماضي قضت نحبها هذه الملكة العظيمة وفارقت ملكها الكبير ذا الشأن الخطير عن ثلاث وثمانين سنة ثلاثة ارباعها بل اكثر على عرش الملك والعظمة ومستقر العز والقوة فقد كانت مدة حكمها ٦٤ سنة. اما تاريخ حياتها وما نالته من السعادة. وعظم السيادة. فلا تفي به المجلدات. بلّه هذه الورقات. ولا بد من اجمال قليل. اذا لم يمكن التطويل بالتفصيل

(مولدها ونشأتها) هي ألكسندرينا فيكتوريا بنت دوق كنت بن الملك جورج الثالث ملك انكلترا وحفيد الملك جورج الثاني ابن الملك جورج الاول الالماني الاصل لانه كان امير هنوفر ولدت في ٢٤ مايو سنة ١٨١٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ووالدتها (لويز افيكتوريا) بنت دوق الماني واخت ليوبولد الاول ملك بلجيكا. ومات والدها وهي في السنة الثانية فقامت والدتها بتربيتها احسن قيام اهلّها لادارة ذلك الملك الواسع واذا قلت لادارة كرة الارض لم تكن مغالياً وقد استعانت والدتها على تربيتها بمربية بارعة اسمها البارونة لهزن لها معها شؤون مدونة في الكتب يقرأها الانكليز للاقتداء والفكاهة والافتخار. ولما تم لها ١١ سنة كانت تعلمت اللغات الالمانية والفرنساوية والايطالية واللاتينية مع آداب اللغة الانكليزية وتعلمت الموسيقى والرسم والتصوير وبعض الاشغال اليدوية ونظرت في الفنون الرياضية وكان لها مزيد عناية بالدين. وكانت حسنة الاخلاق لطيفة المعاشرة كاملة الآداب. وكانت والدتها ومربياتها عارفات بأن ملك انكلترا سيؤول اليها لان عمها جورج الرابع مات عن غير ولد فخلفه عمها وليم الرابع وكان له بنتان ماتتا في عهدها وهو حيٌّ فتلطفت معلمتها البارونة باعلامها انها ولية العهد بالمواطأة مع والدتها بأن وضعت لها شجرة بيت الملك في كتاب كانت تطالعه فلما رأتها قالت: انني اقرب الى الملك مما كنت احسب. ثم قالت: ان الملك عظيم ومجده كبير ولكن اعباءه اكبر. وقالت لمعلمتها: الآن فهمت سبب الحاحك عليّ باتقان اللغة اللاتينية

(جلوسها) مات عمها ملك انكلترا في ٢٠ يونيو سنة ١٨٣٧ بعد نصف الليل فاسرع رئيس الاساقفة ومركيز كونهام وأحد الاطباء الذين حضروا موته الى قصر الاميرة ڤيكتوريا فلما ايقظت واعلموها طلبت من الاسقف ان يصلي ثم كتبت الى امرأة عمها كتاب تعزية لقبتها فيه بجلالة الملكة حتى لا تكون اول من يسلبها هذا اللقب. وتلك نهاية الادب.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ونودي بها في اليوم التالي ملكة على الانكليز وبعد سنة وثمانية ايام احتفل بتتويجها اعظم احتفال

(تتويجها) توّجت الملكة في كنيسة وستمنستر كما هي العادة المتبعة عند ملوك الانكليز فزينت الكنيسة الزينة التي تقتضيها عظمة الملك وكان اول العمل ان وقفت امام رئيس الاساقفة ووضعت يدها على التوراة راكعة وحلفت انها تحكم البلاد بحسب دستور مجلس الامة (البارلمنت) وقوانين البلاد مع العدل والرحمة وانها تحافظ على حقوق خدمة الدين ثم قدم لها لورد ملبرن سيف المملكة وافتداه بعد ذلك بخمسة جنيهات حسب التقاليد والبست حلة الملك وخاتمه واعطيت الكرة والصولجان ودهنت بالدهن المقدس والبسها رؤساء الكهنة التاج واجلست على عرش الطاعة وجثا امامها رئيس الاساقفة وقبل يدها وتلاه سائر رؤساء الكهنة ثم خضع لها عمّاها دوق سسكس ودوق كمبردج ثم سائر الامرآء . وكان ذلك اليوم مطيراً فاتفق ان تقشعت الغيوم وبرزت الشمس عند وضع التاج على رأسها فوقع شعاعها عليه فتألقت جواهره وتلالأت حتى كادت تخطف الابصار فكان ذلك فالاً حسناً للحاضرين .

(زواجها) كان الأمير البرت ابن خالها ليوبولد ملك البلجيك زار انكلترا ورأته الاميرة فيكتوريا فاعجبها جماله وكماله وعزمت على الاقتران به ثم شغلها الملك وحقوقه عن ذلك وماذكرها به الا زيارته لها في انكلترا وكان اهلها يتوقعون اقترانهما فكان . وبعد مشاورتها مجلس الامة واقراره على الزواج احتفل به في ١٠ فبراير سنة ١٨٤٠ في كنيسة قصر سنت جمس . ومما يحسن ذكره هنا ان من التقاليد عندهم ان يقرأ عند صلاة

الاقتران فصل من الكتاب المقدس تؤمر فيه المرأة بطاعة الرجل فسأل الاسقف الملكة هل تبيح له ذلك وتأذن به فاجابته جواب العاقل الحكيم « انى اقترن امرأة لا ملكة فلا تحذف شيئاً من كلام الكتاب » وكذلك كانت تعامل زوجها بعد وكان لها كما كانت له خير عون وظهير . وكانا تزوجا لان ولادته كانت فى شهر ٨ اغسطس (آب) اي بعد ولادتها بنحو ٣ اشهر وعاش معها ٢١ سنة (ستأتى بقية الترجمة)

اخبار الهند

(جريدة وطن) وافتنا الاعداد الأُول من هذه الجريدة الاسلامية الجديدة التى تصدر فى مدينة لاهور من الهند لمنشئها الكاتب الفاضل محمد انشاء الله محرر جريدة (وكيل) سابقاً المشهور بمقالاته النافعة واقتراحاته المفيدة التى منها مشروع سكة حديد بين بور سعيد والبصرة الذى تكلمنا عنه فى العدد الاول من المنار . ولهذا نراه فى جريدته الجديدة يحث مسلمي الهند على اعانة سكة حديد الحجاز بالمال حتى جعل من لا يساعد هذا العمل بشىء من المال ممن لا حظّ لهم فى الاسلام ولا ينبغى ان يعد من المسلمين

ومن اهم اخبار هذه الجريدة بل من بشائرها السارة ان امير الافغان المعظم اعزه الله واطال عمره اصدر امراً بتعميم التعليم الاجبارى فى المدارس وان لا يكون التعليم بالارهاب والغلظة لان ذلك يطفئ نور الفطرة ويذهب بقابلية التعليم وانما يكون التعليم بالتعقل والتلطف . ومنع ضرب التلامذة منعاً قطعياً وجعل عقوبة الضارب ادخاله فى سلك الجندية

(جريدة پيسه اخبار) نشر الفاضل صاحب هذه الجريدة الكبرى فصلاً

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

آخر فيما شاهده بمصر ذكر فيه المطابع والجرائد فاثنى على مطبعة الترقي بالاتقان الذي عرفه كما نعرفه نحن . وذكر المؤيد وماله من المكانة في نفوس العظماء والوجهاء حتى ذكر انهم يخافونه ووصف صاحبه الفاضل وصفاً صورياً معنوياً حتى قال انه لا يعرف اللغات الاجنبية ولكن عنده من يعرفها ويترجم له . وذكر اللواء وشيئاً من سيرة صاحبه منها قوله « انه شاب يلبس اللبس الافرنجي ويعرف الفرنسوية وعنده حميّة على وطنه وشهرته اكبر منه » . وذكر المقطم وتعقبه للمؤيد في الطعن بالانكليز وقال انه يأخذ على ذلك أجراً

ثم ذكر المجلات فوصف الهلال واثنى عليه ولم يذكر المقتطف واطال في ذكر المنار ما لم يطل في ذكر غيره فقال ترجمته ملخصاً

« صاحب جريدة المنار رشيد افندي شاب عالم فاضل وكثيراً ما كنت ارى في الجرائد الهندية مقالات مترجمة عن المنار . وكتابته في المسائل الاسلامية في الدرجة العليا وهو يحاول الرجوع بالمسلمين في دينهم (اي لا في دنياهم لان احوال الدنيا تختلف باختلاف الازمنة والاطوار) الى سيرة الصحابة الكرام عليهم الرضوان » ثم قال

« واجتمعت بالسيد محمد افندي عبده مفتي الديار المصرية بواسطته وفي داره وهو اجل الفضلاء في العلوم الدينية وليس بغافل عن احوال الزمن الحاضر وشؤن العصر . وهو ركن من اركان كثير من مجالس الحكومة ومحب للنفع العام بحميّة صحيحة متقدة في قلبه » اه

المدنيتان الاسلامية والاوربية

نقلت الجرائد ان الجيش الاوروبي المختلط في الصين قد خرج عن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القواعد الموضوعة في الحرب فهتك الاعراض ومثّل بالقتلى وفتك بمن لا تجيز القوانين الفتك به كالنساء ولا بدع في هذا فان الاوروبيين لا يحترم بعضهم بعضاً الا لتكافؤ القوى ومبادلة المنافع ودرء المضار وهم الى الآن لم يصلوا الى عشر معشار الآداب الاسلامية في اول نشأتهم حيث حرم الدين عليهم مقاتلة من لا يقاتلهم كالنساء ورجال الدين والاطفال والشيوخ وحرم عليهم التمثيل وهتك الاعراض . وما اباح لهم سبي النساء والتسري بهن الا ليكون لنساء القتلى ونحوهم كافل شرعي يقوم بشؤنهن كنفسه . واذا رأى الامام المصلحة بخلاف هذا يأمر به فليس الاسترقاق من فروض الدين . ألا ان المدنية الصحيحة قوامها الدين ولولا ما دخل على المسلمين من البدع والانحراف عن صراط الاسلام لدخل فيه معظم الغربيين وسيكون هو المحقق امنية فلاسفة الاجتماع بوحدة البشر وكمال مدنيتهم ولو بعد حين

« تهنئة الوطن »

نهنئ لواء طرابلس الشام باغاثة سيدنا ومولانا امير المؤمنين (ايده الله تعالى) لهم حيث اصدر ارادته السنية بعزل متصرفهم السابق بدري باشا الذي كان يسومهم سوء العذاب حتى كاد يهلك هو وجنوده الحرث والنسل ويأخذ مرتاً تحت الحفظ الى الاستانة ليذوق وبال امره وعاقبة استبداده حيث لا تنفعه سماحة ظهيره ونسيبه الشيخ ابي الهدى افندي ولا تغني عنه من عدالة مولانا الخليفة شيئاً

ثم انعم عليهم بمتصرف جديد محا معالم ذلك الاستبداد . وطمس رسوم ذلك الفساد . الا وهو صاحب السعادة الهمام عبد الغني باشا العابد شقيق اخلص المخلصين . لسيدنا ومولانا امير المؤمنين . عطوفتلو احمد عزت بك العابد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اشد رجال المابين اجتهاداً فى تحقيق رغبة مولاه فى مشروع سكة حديد الحجاز وكفى بها منقبه

(سكة حديد الحجاز)

أرى المصريين قدفترت دون هذا المشروع العظيم هممهم . وتراخت عزائمهم . وخمدت حميتهم . والمسلمون فى جميع اقطار الارض يزدادون همة ونشاطاً فى جمع الاعانات لاحياء البلاد المقدسة وتسهيل سبيل بيت الله على قاصديه

ماهو عذر المصريين وهم مشهورون بالسخاء وحب المباراة فى المجد ؟ عذرهم انه لم يقم برياسة هذا العمل المبرور رجل عظيم كما قام صاحب الدولة رياض باشا برياسة لجان الاعانة العسكرية الشاهانية . ولكن لماذا لا يبذل المصريون المال الا اذا كان طلبه تحت رياسة رجل عظيم ؟ ثم الا يوجد فى كل مديرية وجيه يوثق به فيدعو الى هذه الاعانة ؟ سنجيب عن هذا فيما يأتى ان شاء الله تعالى

خاتمة سنة المنار الثالثة

بهذا الجزء تمت سنة المنار الثالثة بتوفيق الله ومعونته . وفضله وحسن هدايته . وقد رأى القراء اننا زدناه حسناً . فى الصورة والمعنى . فقد كان مجلد السنة الثانية ٧٦٨ صفحة ومجلد هذه السنة ٨٦٤ صفحة (*) فالزيادة ٩٦ صفحة وهو احسن ورقاً وطبعاً والفضل فى هذا لمطبعة الترقي العامرة

(*) وقع غلط فى عدد الصفحات من آخر الجزء ٢٧ فان الصفحة الاخيرة منه كان حقها ان تكون ٦٦٤ فجعلت ٦٣٤ وتسلسل العدد على هذا الغلط الى صفحة ٧١٨ وصوابها ٨٤٨ وما بعدها صواب فليصحح لأجل ضبط الفهرس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التي أسست لترقية هذه الصناعة في القطر المصري

ونعد القراء بأننا سنزيد مادة واتقاناً في السنة الآتية حيث تكون صفحاته ٩٦٠ بزيادة نحو مائتي صفحة عن السنة الثانية . وسنوسع فيه دائرة المباحث العلمية والادبية والتاريخية

اما مايدعو اليه المنار من الاصلاح الديني وانه شرط في كل اصلاح فاننا نرى الاقتناع به يزداد وينتشر بالتدريج الطبيعي الذي ترجى فائدته وجميع العقلاء والفضلاء في القطر المصري وغيره راضون عنه ومنشطون عليه . نسمع ذلك من عقلاء المصريين مشافهة ويبلغنا من غيرهم بالمكاتبة فاذا كان وزير مصر الأكبر دولتلو رياض باشا يقول لنا في كل مجلس نحضره : ان ما يكتب في المنار نافع جداً ولانجاح للمسلمين الا به فان شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني مدرس العلوم العالية في كلية عليكده في الهند لا يكتب لنا مكتوباً الا ويقول فيه «ان العالم الاسلامي مديون لكم بهذه الخدمة» وامثال ذلك . ومثل هذه الاقوال والمكاتبات من عظماء المسلمين كثيرة

والفضل في هذا كله لنصير العلم والدين وحكيم الاسلام والمسلمين مولانا الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الذي هو مرشدنا الاول الى هذا المشرب ولا نزال نستقي من ينبوعه ونقتبس انوار القرآن من مجالس تفسيره .

وسنكمل في السنة الآتية المباحث التي ابتدأناها في هذه السنة وما قبلها كمبحث الكرامات والخوارق ومبحث مدنية العرب . ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لما فيه الخير والفائدة ويقينا عثرة القلم وزلة القدم وينصر سلطاننا ويؤيد اميرنا ويسعد امتنا وبلادنا . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين